

إبراهيم رمزي

البيدوية

مكثبة علي بن صالح الرقمية

إبراهيم رمزي



## البدوية

رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

1922



كتب أونلاين  
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

## الإهداء

إلى العلامة الأمتل والأديب الأجلّ، زينة شباب مصر، وعمدة رجال العصر، حضرة صاحب العزة الأستاذ الدكتور عبد الحميد بدوي بك سكرتير مجلس الوزراء.

إنك لعاذري إذ أهدي إليك روايتي هذه غير مستأذن لها عليك، بيد أنني تمنيت لروايتي الخلود فتوّجتها باسمك الكريم؛ ليذكرها التاريخ كلما ذكر الألمي الحكيم، ولن تأخذني بجريرتي هذي، وإن لم تكن روايتي مما يجمل أن يُهدى إلى أدبك الأرفع، فإنك داع في حياتك النبيلة الحافلة بالعظائم إلى أن يكون كل ما نفتبسه عن الغرب موطنًا ليستحيل وضعًا من أوضاعنا القومية البحتة. وإذ كنت أستشعر هذا المبدأ العالي — على قدرتي — فقد عملت على تحقيقه منذ اتصلت بعالم الأدب التمثيلي، الذي لم يكن لمصري فيه قبلي نصيب، وكذلك انصرفت عن الترجمة والتعريب إلى التأليف، ووضعت للمرح المصري — على قدرتي أيضًا — قطعًا عربيةً مصريةً، ومصريةً عصريةً، ومن تلك رواية البدوية هذه التي تمت إليك باسمها، وبروح تأليفها، فقد ناديت ليلة مُثّلت لأول مرة في دار الأوبرا السلطانية حين تفضل الجمهور الكريم بتحية تشجيع للمؤلف: «إني أريد للتمثيل المصري استقلالاً عن الغرب، برواياته وكتابه، كما يريد كل مصري منا الاستقلال التام في كل منحي من مناحي الحياة.» وهو ما تدعو إليه بلسانك، وتجد في تحقيقه بأعمالك، في نطاق أوسع وأشمل بجهد جبار لا يكلف المشقة إلا نفسه الكبيرة، وحكمة عبقرية له في الغيب عين بصيرة.

من أجل هذا وذلك، لم أتردد في إهدائها إليك، وإحاقها بساحتك، وثوقًا بارتياحك إلى جهدي وإن قل؛ إذ يبشرك بمستقبل أجلّ، حين تتجه همته العالية إلى التمثيل وأدبه، فتُقيم ركن استقلاله فيما تُقيم اليوم من صروح للوطن العزيز، والله يحفظك للمخلص.

إبراهيم رمزي

مصر الجديدة في ١٠ مايو سنة ١٩٢٢

## أشخاص الرواية

ال خليفة الأمر بأحكام الله: ملك مصر.

أبو علي: رفيق الخليفة.

أسامة: أبو البدوية.

حسين بن مياح: خاطب البدوية وابن عمها.

زياد: عبد أسامة.

أحد المعيدين: مصري.

معيد آخر: قاهري.

البدوية: بنت أسامة ومخطوبة ابن عمها.

ريطة: أم الأمير حسن بن نزار.

ناعسة: أخت ابن مياح.

فاطمة المغنية: مصرية من العوام.

عرب، وجند، ونساء قاهريات ومصريات، ومغنيات، وطبالة، وزمارة، ورقاقة، ونافخ في الأرغول  
... وإلخ.

العهد: القرن الثاني عشر الميلادي.

\* \* \*

أُلفت هذه الرواية في مارس سنة ١٩١٨، ومثلتها فرقة الأستاذ رشدي في الأقاليم، ثم في القاهرة  
يوم عيد النيروز، وفي الأوبرا في ٦ فبراير سنة ١٩١٩.

## الفصل الأول

### الوقت عشي قبل المغرب

يُكشَف الستار عن وصيد خيمة أعرابي قد فرش أمامها بساط (كليم) مقلّم، جلست عليه أميمة البدوية، وأمامها نول نصبت عليه شالًا وهي تطرز. والشال من الحرير الأبيض، وإذا تفحصها الناظر وجدها مشتغلة الفكر، مختلجة اللب، قوية النفس، مُلئت صراحةً وثباتًا. أما هي فعينها براءة قوية النظرة، ذات رمش أسود طويل الشعر، يظل خدًا أبيض مشربًا بحمرة وردية ساحرة، إلى جانبه أنف صغير، حاد العرنين دونه، فم مثل فم الأطفال، طريء ندي صوتها في الحديث، بيّن النبرة ليّن النغمة. أما ملابسها، فغطفة زرقاء، وثوب أسود به أسماط من الفضة، وفي قدميها نعل بقبالين، يعلوهما خلخال من الفضة. وعلى الجملة، فهي فتاة لا تمتاز عن مثيلاتها إلا بفرط جمالها، وشدة سحر هذا الجمال.

البدوية (تتظر في النول وتقرأ):

نعمة الحب يا حبيب فؤادي      متعة من نعيم جنة عدن  
فاحفظ الحب بالوفاء لتحظى      بنعيم الفردوس في المنزلين

أجل، أجل، سيكون هذا الشال مذكرًا لابن مياح بمن تطرزه الآن إذا أبعدته الأسفار عني، وحل عقاله عند الرقاد، لاح له البيتان فتذكر. أه! متى تنتقضي أشهر الشتاء حتى أُرَف إليه وتسعد النفس بجواره ... لقد كان يزورني لا ينقطع عن داري حتى خطبني له أبوه، ليته لم يخطبني. وي ... كلا! كلا! إنا سنجتمع إن شاء الله ولا فراق (تسكت وتتظر في النول مدةً، ثم ترفع رأسها كمن سمع صوتًا وتتظر هنا وهناك) من القادم يا تُرى؟! إنهم لم يذهبوا إلى البادية إلا منذ قليل (تنادي) زياد! (تنهض تدفع بالنول إلى جانب، وتتفحص ملابسها، وتذهب صوب اليسار) زياد ... إني سمعت وقع أقدام، أيكون أحد النور قد ألم علينا؟ (تتظر حذرة؛ فهي تمد عنقها كأنها تتسمع وبها شيء من الخوف، هنا تدخل ناعسة ابنة عم البدوية، وأخت ابن مياح، وهي فتاة عربية أكبر من البدوية سنًا ... يكون دخولها من اليمين من وراء البدوية على أطراف أصابعها قصدًا، فإذا التفتت البدوية ورأتها دُعرت، وأخذت تمسح صدرها بيديها، ثم وقفت يداها فوق ثدييها، وهي تنتهد).

ناعسة: ها! ها! ها! (تجري إليها تقبلها، وتحضنها).

البدوية: ويحك ناعسة! لقد أفزعتني كافأك الله.

ناعسة: لا روع عليك! لا روع عليك! كيف حالك يا ابنة عمي؟

البدوية: بخير، وأنت؟

ناعسة: بخير والله الحمد، ما ظننت أنك وحيدة.

البدوية: لقد ذهبوا إلى البادية جميعًا.

ناعسة: وأين صديقتك النورية؟

البدوية: من؟ ربيعة؟ لقد ذهبت إلى مصر منذ شهر.

ناعسة: ما علمت ذلك.

البدوية: كيف تعلمين عنها شيئًا، وقد انقطعت عنا مدة طويلة، ليس بين مخيمنا ومخيمكم إلا مسافة ساعة، وي! ماذا جرى؟

ناعسة: معذرةً يا أميمة، إن أبي لم يعد يطيق أن يتولى له الطعام أحد سواي، وأنت تعلمين أن حكاية الطعام هذا لا تنقطع، بالله خبريني لماذا خلقنا الله نأكل ونشرب؟

البدوية: وكيف كان يمكننا أن نعيش؟!

ناعسة: لا أدري، لم تخبريني لماذا جاءت إليكم تلك النورية يا تُرى؟

البدوية: كيف؟! جاءت ضيفة.

ناعسة: أجل أجل ... ولكن عهدي بالنور لا يسيرون فُرادى.

البدوية: إنهم قوم فقراء يا ناعسة، وليس من مصلحة الفقير أن يستصحب فقيرًا يغالبه على ما ينال.

ناعسة: نحن الفقراء لا هم؛ لأنهم يتسولون، ويسرقون، ويتاجرون بأثمن الأشياء عند الناس، وأرخصها عليهم.

البدوية: وما هو هذا؟

ناعسة: العرُض.

البدوية: وي! يتاجرون بالأعراض؟!!



ناعسة: أجل؛ يملون بالقري فإذا وجدوا ابنةً سائمةً غفل عنها أبواها، سرقوها، ثم ظلت معهم كواحدة منهم، حتى إذا كبرت عرفت أساليبهم، ولم تجد في ذلك غضافةً.

البدوية: أستعيز برب العالمين ... وهل تظنين أن ربيعة من هؤلاء؟

ناعسة: هذا الذي من أجله أردت أن أعرف شيئاً عنها؛ لأنني ما توهمت أنها منهم، إن بها شيئاً من العزة وكبر النفس، وإن كنت أراها أحياناً على شيء من الجرأة.

البدوية: ذلك لأنها كانت من جوارى الخليفة المستنصر كما تقول.

ناعسة: كانت من جوارى الخليفة المستنصر؟!

البدوية: سمعتها تقول إنها كانت في خدمة ابنه الأمير نزار، ثم هربت يوم نُكب.

ناعسة: نزار الذي حاربه قبيلتنا؟

البدوية: هل حاربت قبيلتنا أحدًا من أولاد الخليفة المستنصر؟

ناعسة: كذلك سمعتهم يتحدثون.

البدوية: من أجل هذا كان أبي يجادل ربيعة ... وربيعة تقدح عينها شرراً، بل لقد قالت له يوماً من الأيام إنه نصر ظالماً على مظلوم، ودعت عليه بما فعل.

ناعسة: دعت عليه؟

البدوية: أجل، ولم تحتشم.

ناعسة: وماذا قال أبوك؟

البدوية: ضحك وانصرف، هل كان يستطيع أن يؤذي ضيفه؟!

ناعسة: كلا! ومع ذلك فإن لأمثال هؤلاء الناس دلالاً على الرجال؛ لأنهم لما كانوا يعيشون عيشة الدعارة لم يكن يُنتظر منهم أن يتأدبوا.

البدوية: صدقت، صدقت! بل لقد كان أبي يستطيب حديثها ويأنس بها، ولا يكاد يصبر عنها مع أنها امرأة مسنة.

ناعسة: مسنة؟ ... إن بها أثراً من الجمال تخفيه تحت ذلك الكحل الذي تكسو به وجهها عمداً ... لقد رأيتها يوماً وهي تغتسل قبل الرقاد، فرأيت وجهها أبيض كالقمر، نعم! إنها شريرة الطلعة والنظرة، ولكن الرجل ...

البدوية: خسئت يا ناعسة! أتعنين أن أبي ...

ناعسة: هاهاها! لا والله، ولكن ...

البدوية: ويحك ناعسة! لم يكن أبي يأنس بها إلا لأنها كانت تعرف من أخبار الدنيا ما لا يعرفه إلا أمثاله، ولا تبالي في حديثها بشيء مما تعارف عليه الناس من الآداب، وفي هذا فرجة للقلوب أحيانًا.

ناعسة: أكنت تسمعين حديثها مع أبيك؟

البدوية: بعض الشيء، ولكني أعرف ذلك مما كانت تحدثني به هي.

ناعسة: كيف؟

البدوية: كانت تحدثني، ولا تحتشم، ولا تذكر أني عذراء.

ناعسة: كيف ذلك؟ بالله خبريني.

البدوية: لقد كانت تذكر لي سعادة الزوجين في خلوتهما ... أف ... دعيني!

ناعسة: ها، ها، وهل كان يسوءك هذا؟

البدوية: كلا، ولكني كنت أخجل، وهي لا ترحمني ... تتبين ذلك مني فتضحك، وتقبلني، وتحتضنني.

ناعسة: هاهاها! يا ليت أني ...

البدوية: أعوذ بالله منك يا ناعسة! أتدرين ماذا قالت لي ليلة رحيلها؟

ناعسة: ماذا؟

البدوية: قالت إنها ذاهبة إلى مصر، وسترقص للخليفة، ثم تذكرني له، وتغريه بزواجي.

ناعسة: فبماذا أجبته؟

البدوية: زجرتها ... بل لقد أهنتها؛ فقالت لي إنها تمزح معي.

ناعسة: أما والله لئن سمع بك الخليفة لرحل إليك يا أميمة.

البدوية: لا قدر الله ... لا قدر الله ... لم تُحيريني؟ أجنبت وحدك؟

ناعسة: أجل! أم زعمت أن يجيء معي ...؟



البدوية: دعي عنك هذا!

ناعسة: آه منك يا أميمة ... لقد أصبحت الآن تكتمين كل شيء.

البدوية: أنا؟! لا والله، ولكن ...

ناعسة: لم يعد بك حاجة إليّ؛ خطبك أخي وارتاح فؤادك، ولم يبقَ إلا ...

البدوية: ناعسة!

ناعسة: سأخبره أنك لم تعودي تسألين عنه، ولا تفكرين فيه.

البدوية: ما أقساك يا ناعسة! تعالي، تعالي اجلسي (تترك لها فضلة من الكليم) انظري ما على النول.

ناعسة: ماذا؟

البدوية: لقد أوشكت أن أنتهي من تطريز شال أخيك.

ناعسة: شال أخي! ألا يزال أخي؟! لماذا لا تسمينه بغير هذا؟ أم يصعب عليك أن تقولي شال عروسي؟!

البدوية: شال عروسي وسيدي، أيرضيك هذا؟

ناعسة: كلا!

البدوية: وي! لا يرضيك؟!

ناعسة: إنه يسعدني يا أختاه؛ لم تكن لي في حياتي أمنية أرتجئها إلا أن يجمع الله بينكما، وقد أجاب سؤلي، فالحمد لله على ذلك؛ لقد ذاب أخي غرامًا بك ولوعةً، وأنت كم مسحت لك هذي الأكف دمعة، ما أسعدني اليوم يا أختاه!

(تقبّلها وتقبّلها البدوية.)

البدوية: شكرًا لك يا أختاه، شكرًا.

ناعسة: ماذا طرزت له؟

البدوية: اسمه المحبوب، اقرئي!

ناعسة (تقرأ): «حسين بن مياح» ما أسعده بك يا أميمة! وما أشد ازدهاءه بالشال فوق رأسه يوم تكونين له حقًا! سيُقال هذا عروس أميمة البدوية شاعرة الصعيد، وفخر بني قريظة.

البدوية: شكرًا شكرًا، واقرئي هذا.

ناعسة: ما هذا أيضًا؟ بيتين من الشعر؟ لا عجب، إذا لم يكن شعرك لمن تحبين فلن يكون؟!!

البدوية: إن الشعراء يمدحون الملوك تحببًا ... ومن ملكي يا ناعسة من سلطاني؟ من خليفة أبي علي.

ناعسة: بل من سيد أبيك لديك (تتظر في النول)؟

البدوية: أنت وما ترين.

ناعسة: لا أستطيع قراءتهما.

البدوية: كيف؟ أليس الخط واضحًا ... اسمعي (تقبض على النسيج، وتديره أربع مرات كلما انتهت من تلاوة شطر حوّلته عنها، وهنا يبدو ابن مياح، ولكنه لا يتقدم، وإنما يأخذ ينظر ويستمع، وهو يكاد يذوب اغتباطًا وشوقًا):

نعمة الحب يا حبيب فؤادي      متعة من نعيم جنة عدن  
فاحفظ الحب بالوفاء لتحظى      بنعيم الفردوس في المنزلين

ناعسة: أحسنت يا أميمة، أحسنت والله، أرنيتها (تقدم البدوية نولها إليها) أجل (تتظر فيه) أعيديهما بالله عليك ... إن للشعر من فمك لحلاوة ... يُخَيَّلُ إلي أنك لا تتطقين بهما إلا بفؤادك. ها، حسين! (وإذا بابن مياح قد دخل عليهما، فإذا تقدم غلبه شيء من القلق والرغبة في عناق البدوية، فيتقدم منها، حتى إذا التفتت إليه مد ذراعيه، فمدت البدوية ذراعيها عفواً واحتضنته. أما الفتى فهو في العشرين من العمر أبيض اللون أصفر الشارب، قد تردى بقفطان أحمر تحزم عليه، وفوق القفطان عباءة من الحرير الأبيض، وعلى رأسه شال — كوفية — قد اعتقله بعقال).

مياح: أجل يا أميم أجل، إن الحب من نعيم الجنة لا من الدنيا، بل إن عناق العشاق لأجمل منظرًا من اتكاء الأبرار على الأرائك، وأنت يا أميمة، أنت أجمل من الحور، وأرق من ولائد النور ... أين الشراب الطهور من كؤوس ترفها عينك (يقبلها).

ناعسة: لا يفنك أنهم يحسبون هذه الدنيا لهم وحدهم، فهم لا يشعرون بوجود غيرهم معهم، كأنما خفقت عيونهم لا ترى إلا وجه المحبوب، ولا تسمع آذانهم إلا صوت الغرام من أعماق الفؤاد.

مياح: معذرةً يا أختاه معذرةً (يمد إليها ذراعه اليسرى إذ تكون الثانية حول البدوية)، لقد طال شوقي إلى ابنة عمي كما تعلمين فأنسانيك فرط لهفتي.

البدوية: معذرةً يا ناعسة!

ناعسة: لماذا تعتذران؟ والله ما سرَّ قلبي بمثل ما رأيت اليوم ... إني لموضع سرك وسرها، وربما عرفت من أمرها أكثر مما تعرف.

مياح: أتقول حقاً؟ (يخاطب البدوية).

البدوية: لا تخفي الفتاة عن صديقة لها شيئاً من أمور فؤادها.

مياح: ولا الأخ عن أخته التي يحبها.

ناعسة (إلى البدوية): ولقد جئت إليك، والله عمداً؛ أردت أن أكون لكما في مثل هذه الساعة.

البدوية: آه! ولماذا لم تخبريني بأنه قادم؟

ناعسة: أكنت تريدان أن أخبرك بقدم من تحبين لكي تظلي تفكرين فيه، وتشتغلين عني!

البدوية: ها ها ها!

مياح: ها ها ها!

البدوية: ومن أدراك أنني اليوم وحدي؟

مياح: ألممت عليك بالأمس خفيةً، ودنوت من الدار فسمعت عمي يأمر عبيده بتسريح جماله في البادية، وسمعته يذهرهم بمجيئه، فعدت وأسرت الخبر إلى ناعسة، وها هي قد تقدمتني لكي لا نُفاجأ.

البدوية: ويل للمتأمرين!

ناعسة: لعمرى لئن ظللت معها على هذا الحال ودخل عليك أهلها، ما حمدت ستري في شيء.

البدوية: وي! (تبتعد عنه).

مياح: آه! إن ذكرى العواذل — ذكراهم وحدها لتتفر الأليفين، وتشقى العاشقين.

ناعسة: لا روع عليكما، هأنذا بمرقب فاطمئنا (تخرج من حيث أنت).

مياح: أميمة!

البدوية (وقد دنا منها ابن مياح): لا تدنُ مني ... اجلس بُعيد هذا النول (تذهب هي إلى مجلسها منه).

مياح (يذهب وراءها): لماذا؟ ماذا جرى؟

البدوية: أنت أدري ...

مياح: لا أدري والله، ألا إنك تنكرت لي على حين فجأة في ساعة لم نظفر بمثلها منذ شهرين.

البدوية: أجل ... فماذا خباك عني طول هذه المدة؟

مياح: آه يا أميمة! ... خبأني عنك أبوك يا ابنة عمي، كأنه أوجس أني غداً أصبحت على وشك أني أحملك إلى بيتي أغالبه على محبتك؛ فهو يغار مني ...

البدوية: يغار منك؟!!

مياح: أجل ... ما رأيته نظر إلي منذ ذلك اليوم الهني إلا نظرة الحاسد المخجول.

البدوية: حقاً؟

مياح: أجل، والله!

البدوية: وهل يمنع المحب رؤية من يحب أمر كهذا؟!!

مياح: كلا ... كلا، ولكن لعمي هيبة يا أميمة ومحبة في قلبي، أردت أن أقبله تلك النظرة وأحميه ذلك خاطر؛ فامتعت عن غشيان دارك على مضض مني ولوعة ... ولطالما يَمَّمْتُ هذا المخيم — كما يَممت بالأمس — فألفيت عمي فيه، وعدت أدراجي والعين بالدار عالقة، أتلفت تَلَفْتُ الأم خَلَّت رضيعها حتى تعود إليه كما عدت إليك الآن يا أميم.

البدوية: إذن فادن، ولكن إياك أن تغيب عني بعد اليوم أو تبالي بأحد.

مياح: كلا، كلا (يدنو منها) لن أبالي بأحد بعد اليوم ... ياالله! ما أشد دلالك يا أميمة! لقد — والله — أذعرتني فكيف بالهجر ... ياالله! اني لا أطيق مسماه.

البدوية: إذا أنت غبت عني بعد اليوم؛ فوالله لن أقبلك هذه القبلية في حياتي (تقبّله).

مياح: يومئذ أخذها أنا عنك يا أميمة هكذا (يقبلها).

البدوية: لم أرد أن أبدهك بذلك ساعة جنّت؛ لكي لا أحرمك لذة اللقاء، ولكني كنت واجدة عليك، ولذلك ...

مياح: مددت ذراعيك لتضربيني، فعانقتني من حيث لا تعلمين.

البدوية: على غير قصد مني، ولا هوى.

مياح: إذن فعانقتيني الآن بقصد، وهوى.

البدوية: إلي، إلي (يتعانقان، وهنا تتادي ناعسة من خلف الستار).

ناعسة: أميمة!

البدوية: صوت ناعسة (تبتعد عنه، ويظل ابن مياح جالسًا في مكانه متكئًا على يده، وهو متطلع إلى البدوية، وهي واقفة).

مياح: ما سمعت شيئًا، تعالي.

ناعسة: أميمة (على بعد كبير أيضًا).

البدوية: هذه هي تتادي، لبيك.

مياح: لا تبالي بأحد.

البدوية: كيف؟! انهض من مجلسك يا أخي، إن ناعسة تنذرك.

مياح: أنا لا أبالي بأحد، كذلك أمرتني.

البدوية: قم! لقد أقلتلك أن تطيع.

مياح: هذه المرة وحدها.

البدوية: أجل، أجل، انهض! (ينهض ابن مياح).

ناعسة (قبل دخولها المسرح): أين أنت يا أختاه؟

البدوية: لبيك، هأنذا ...

ناعسة (تدخل): قد رأيت أباك يعدو على بعيره الأبلق ... ماذا تفعل يا حسين؟

مياح: لا شيء، لقد وعدت أن لا أبالي بأحد، ولا سيما بعمي، بل لقد أمرت بذلك.

ناعسة: ويحك ... حسين ... هلم ... انصرف إذا لم تكن تريد لقاء عمك، أو فانحدر في الوادي ريثما يعود ... ثم أقدم علينا كأنك وافد.

مياح: ولا هذا أيضًا.

البدوية: فماذا أنت فاعل؟

مياح: سأقف بالعراء حتى يعود ... فإذا حط رجله ودخل عليك وراك؛ فاستأذني لي عليه ودعيني أظل على ما عهد في من الإباء وحفظ حقه علي، لا أريد أن يرى أنني دخلت دار عروسي على غير علمه ورضاه.

ناعسة: ما أعرفك بحق الأعمام!

البدوية: هذا رأي حسن.

ناعسة: انصرف على بركة الله!

مياح: وداعًا، لا لا! لقاء يا أميمة، لقاء (يهم بالذهاب بظهره) ...

ناعسة: فهمنا، فهمنا، انصرف (يعود ابن مياح فيتقدم من البدوية) ماذا؟ ...

مياح (يقرب من البدوية ويُقبلها): لماذا أحرم نفسي قبلة الوداع (يبتعد وهو يتكلم) إن من العشاق من يشتهي فراق المحبوب رغبةً في عناقه ساعة النوى.

البدوية: إليك ... إليك ... (يخرج ابن مياح جاريًا) لقد ضَرَّج خدي أخوك يا ناعسة.

ناعسة: آه! هذا افتئات على الغلام يا أختاه.

البدوية: كيف ... ألا ترين ماذا صنع بي؟ (تُقَدِّم خدها).

ناعسة (تُقَبِّلها): لقد ضَرَّجَه الخالق يا أختاه ... لا تأخذي أخي بجريرة غيره.

البدوية: ويحك ناعسة!

ناعسة: أتريدين أن أمنعه أنا قبلة من خديك ... أنا موكلة بخفارتهم، ومع ذلك فلن أسمح لكما بعد اليوم بشيء مما رأيت؛ فإني — ولا أكذبك — قد ملكتني اليوم غيرة (تتظر خارج المسرح) أين عمي؟ لماذا لم يحضر؟ ها هو الآن بمنعطف الجبل يسير الهويني، ليتني لم أذعر الفتى.

البدوية: إذا كانت قد ملكتك غيرة مني ... فأمره الآن أن يكون حيث هو.

ناعسة: والله لقد غرت حقيقة.

البدوية: ها ها ها! ها هو ذا بالعراء، اذهبي إليه، دعيه يُقبِّلك ألف قبلة ... فوالله لا أغار.

ناعسة: لا تغارين ... حنثت، ورب الكعبة!

البدوية: وي! أجل والله، لقد حنثت ... شعرت إذا تمثلت قبلات أخيك بلذعة في فؤادي يا ناعسة ...  
يا لله ما هذا!؟!

ناعسة: ها ها!

البدوية: معذرة معذرة! لن أغار بعد اليوم، ولكن لماذا تغارين أنت يا ناعسة؟

ناعسة: لا أدري، ولكني تمنيت من حيث لا أدري أن ...

البدوية: أن يكون لك عروسًا!

ناعسة: أخي ... عروسًا ... أجل ... كلا، وي ... لا أدري لقد اختلط لبي.

البدوية: ها ها ها!

أسامة (من الخارج): أميم.

البدوية: لبيك يا أبي (تخرج إليه).

ناعسة (لنفسها): قوادة، ورب الكعبة!

أسامة (يدخل، وهو رجل في الخمسين من عمره ذو لحية، وخطها الشيب، وشاربه غير طويل، وهو لابس لبسه العربي البدوي): سلام على ابنة أخي ناعسة ... كيف حالك يا بُنيّة؟

ناعسة (تتقدم منه ساعة الدخول، وتُقَبِّل يديه): بخير يا عماء.

أسامة: كيف حال إخوتك وأمك؟

ناعسة: نحمد الله على العافية يا عماء.

أسامة: كيف جئت وحدك؟

ناعسة: جئت برفقة أخي حسين.

أسامة: حسين، وأين هو؟ (يلتفت).

ناعسة: إنه بالعراء يا عماء حتى يأذن له أهل الدار.

أسامة: وي! (لنفسه) لقد أخذ الغلام علي غصي (لناعسة) اذهبي إليه ... عليّ به.

ناعسة: سمعًا يا عماء (تخرج من اليسار).

أسامة: فارس العين والضمير حسين لحظ مني أنني أستحيي أن أرى فارس أميتمتي بعيني فأقالي، بارك الله ... مضى اليوم أشهر أربع لم أراه فيها إلا فواقًا في حظيرة أبيه، كأنما كان يتجنب لقائي، وكان لا يفارق مجلسي لحظة، ولا يميل عني هنيهة ... أحبه ورب الكعبة، ولكن، واسواتاه ... ماذا يخجلني منه وأنا أسلمه عرض ابنتي بيدي؟! ... أه! هذا يؤلمني، لعن الله الشيطان! يلقي في روعي كأنني أبيع عرضي مستبنيًا ... لا ... رب آمنت بك، وبكتابك، وسنة نبيك، ولكني لا أطيق تخيل ابنتي بين ذراعَي سواي ... أه! إنك اللهم تعذبني بما أخذت به حماي؛ إذ حماني رؤية أمها بعد الخطبة ... لقد آليت يومئذ لا أحرم الخاطب رؤية ابنتي، وأراني اليوم حنثت، وإن لم أمنعه. كلا، سأقلع عن هذا أو فلأزفها إليه وشيكًا لأقال طول النظرة، وي! كلا ... لا أفارقها، ليعش معي



... أجل ... ليعش معي ... (يسكت ويراجع نفسه) لا أراه بعيني ... كلا ... ليعش بعيدًا عني فلن أراه، هذا عرض يُباح فما يهمني أحل أم حرم! كلا، من يطيق هذا؟! (يعاود نفسه)، وأعيش كالشجرة الملحاة! أعيش، ولا أُمِيم. أعيش، ولا حسين (يسكت) رب أولني منك عطفًا ... أنزل على نفسي السكينة ... رب اهديني بهداك (يركع مستقبلًا القبلة ويسجد) حمدك اللهم هذي سنة خلقك يا أكرم الأكرمين (ويظل راکعًا مستقبلًا القبلة، ويدخل حسين تتبعه أخته ناعسة، فينتظر أن حتى يتم صلاته، فإذا سلم أسامة يسارًا ورأى حسينًا نهض إليه) هلم إلى صدري يا بني ... أنت أحب الناس إلى نفسي ... لا تأخذني بما أكرمت إليك، ابق هنا، لا تبرح حتى أزف إليك أميمة.

مياح: عماء! عماء! (يقبل يده، وعمه يقبله وناعسة تمسح دموعها، وعند ذلك تدخل أميمة).

أسامة: تعالي يا ابنتي ... هذا بعلك ... خذيه ... لا تبارحي مجلسه، لا تفارقيه، لن يكون أبوك في هذا المنزل إلا ضيفًا عليكما، وسأقضي بقية أيام حياتي أشم في أردانكما ريح شبابي الماضي، وأدعو الله لكما بالسعادة (أميمة ومياح يركعان ويقبلان يده) انهض انهض، بارك الله لي فيكما، إلى الدار، علينا بالعشاء يا أميمة، عاونيها عليه يا ناعسة.

ناعسة: حبًا وكرامةً (تخرج هي وأميمة من اليسار).

أسامة: حسين!

مياح: لبيك!

أسامة: إنني راحل إلى المغرب عما قريب.

مياح: إلى المغرب يا عماء! ... لماذا؟

أسامة: لقد استتفرنا مولانا أبو علي المنصور خليفتنا الأمر بأحكام الله؛ لنفقاً عين فتنة أثارها ابن عمه حسن.

مياح: من حسن هذا يا عماء؟

أسامة: الأمير حسن بن نزار، نزار الذي حاربناه عام مولدك يا بني حتى سقناه أسيرًا إلى أخيه المستعلي بالقاهرة، ثم قضى في السجن نخبه.

مياح: وما كان جرمه يا عماء؟

أسامة: آه! هذا ما تُغضى له عيني يا بني.

مياح: كيف؟! أكان على الحق يا عماء؟

أسامة: كان مظلومًا يا بني ... لما مات الخليفة المستنصر ترك ولدين: نزار وأحمد، وكان نزار أكبر من أخيه بثلاثين عامًا، ولكنه كان زعيم فرقة دساسة خبيثة تُسمّى الإسماعلية؛ نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ... كانت تكره صاحبنا الوزير الأفضل شاهنشاه، فلم يشأ الأفضل أن يبايع نزارًا هذا خشيةً منه على البلاد، وبايع أخاه أحمد ونعته المستعلي بالله.

مياح: هذا أبو مولانا الخليفة الأمر.

أسامة: أجل يا بني هو ... إنه مدين لنا بما هو فيه اليوم من الملك ... لذلك فإنه يبعث إلي أنا وأبيك بهدايا كريمة كل عام ... إن قبيلتنا هي التي أخضعت نزارًا هذا، وهي الآن مدعوة لقتال ولده حسن في برقة.

مياح: ولماذا ترحل يا عماء إذا كان نزار مظلومًا؟ فإن المعاونة على ولده إثم فيما أرى.

أسامة: ما كانت الخلافة ميراثًا يا بني، إنها للأصلح منا نحن المؤمنين، وأنت تعلم أنا لم نرَ في الفاطميين مثل أبي علي رجلًا ... يا بني إنه رجل يحب الشعر، ويكرم العرب، ولا يفرط في تراث أجداده ... لم تزهر الدنيا كما أزهرت في أيام هذا الخليفة.

مياح: ولكنه سفاك للدماء، ألم يقتل الأفضل شاهنشاه وزيره، ثم يقتل بعده المأمون البطائحي؟

أسامة: آه يا بني! إنك لا تدري لماذا قتلها ... قتلها لأنها عملا على نزع الخلافة منه؛ فالأفضل ود أن يظل وزيرًا يعمل بقوة الخلافة كلها، وجعل الخليفة ألعوبة في يديه، وأما المأمون فقد استكشفنا مؤامرة دبرها كان يريد بها خلعها من الخلافة، ومبايعة محمد بن نزار الذي كان في اليمن، وقد تحقق له الأمر؛ إذ وجد الخليفة محمدًا هذا قد جاء ووجد المأمون وإخوته في بيت مختفاه ...

مياح: لقد فعل الخليفة حقًا ... لا مرأى في ذلك، ولكنني سمعت يا عماء أنه فاسق ... لا يني عن العبث بالأعراض غير خجل ولا وجل.

أسامة: آه! هذا ما يحزنني يا بني، لعن الله الشيطان، هكذا الملوك يا بني إلا من عصم ربك! (يسكت) لعلي ذاهب بعد الحصاد يا بني.

مياح: في حفظ الله يا عمي.

أسامة: أجل. سأرحل مطمئنًا ... اسمع يا حسين، إنني أترك هذا البيت وابنتي ومالي وعبيدي لتقوم عليهم، فإن أسعدني الله بالشهادة فهي لك، فاعمل بما أمر النبي — عليه السلام — إذ قال: «اتقوا الله في الضعيفين: المرأة، والرقيق.» إن الرق مفسدة والحريّة مكرمة، فلا تأخذ عبدًا بما جنح وإلا كنت دونه خلقًا، ولكن إياك والتفريط في الكرامة ... إياك والرضاء بالضميم، وإذا استنفرت من

بعدي لقتال فلا تحجم، دع ابنتي في بيتها حتى تعود إليها أو تعود في ذمة الله. هذي وصيتي إليك، وأنت عند ظني بك إن شاء الله.

مياح: سمعت، ووعيت، وأطعت، والله خير الشاهدين:

نحن يا عمُّ معشر إن دُعينا لقتال العدا نفرنا سِراعا  
دأبنا الجُود فالنفوس عطاء خالص بيِّدَ أنها لن تُباعا

أسامة: أحسنت يا بني أحسنت، من أجل ذلك ارتضيتك فارسًا لها (هنا يدخل عبد أسود) ما وراءك يا زياد؟

زياد: إن بالوادي قومًا وفدوا من عند مولانا الخليفة.

أسامة: من عند الخليفة! أخبروك بهذا؟

زياد: أجل يا مولاي ... قابلوني أنا وسائر العبيد عند منعطف الوادي، وحادثني بذلك فارس منهم يلتمع النبل في عينيه.

أسامة: مرحبًا بالأضياف مرحبًا، اخرج إلى العبيد فاجمعهم، وحيوا الأضياف في اللقاء.

زياد: سمعًا يا مولاي (يخرج من حيث أتى).

أسامة (لنفسه): لقد استبطنوني لعن الله الشيطان ... حسين!

مياح: لبيك.

أسامة: اذهب يا بني، وانظر في العشاء ... اعقر لهم بعيري الأبلق، وألقه إلى العبيد ليعدوا لنا طعامًا؛ إنا لم نعد شيئًا قِيَمًا.

مياح: كيف أعقر بعيرك الأبلق يا عماه وقد دفعت فيه مائة جمل لطي؟! إنهم لا يأكلون دمًا بل لحمًا، والجمال في هذا سواء.

أسامة: أجل يا بني، ولكن وفد الخليفة لا بد أن يُنحر له خير النعم.

مياح: ومن أين لهم بمعرفة ذلك يا عماه؟

أسامة: ما بك يا غلام؟! ألسنت من أبيك؟! إن العربي لا يكتفي من الكرم بظاهره، وما كريم من يموه على الناس كرمه.

مياح: ولكن الأبلق هذا ...

أسامة:

ويك! قل لي يا ابن مياح متى عزّت الدنيا علينا في الكرم  
هانت النفس علينا، عجباً نبذل النفس، ونستبقي النعم!

مياح: صدقت يا عماه صدقت ... ولكن ...

أسامة: إذن فلأنحره بيدي، هلم (يخرجان من اليمين، ويدخل رجلان قد ترديا رداء أهل البادية إلا أنه على غاية ما يكون من الحسن، أما هذا اللباس فيستر من تحته ملابس الإمارة، فالأول وهو الخليفة الأمر بأحكام الله ظاهر الجلال، والثاني إذ هو الأمير أبو علي بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش جليل، إلا أنه أقل مظهرًا، والرجلان متكران).

الخليفة: هذا هو المكان الذي وصفته ربيعة يا أبا علي.

أبو علي: إن ربيعة دقيقة الوصف يا مولاي، لا يفوتها صغير ولا كبير، كيف؟! تلك كانت مهمتها في الحياة، ومن أجل هذا ارتضيتها أمينة سرك.

الخليفة: لقد — والله — أنصفت يا أبا علي ... إن القوم في القاهرة قد عرفوا كل نساء سري، وعيوني على ملاحهم، فوجب علي أن أتخذ غيرهن لذلك، ولا أكذبك أني سئمت وصال التركيات والصقلييات؛ إن بهن لكنة لا تسر العربي، وأراني ظفرت في ربيعة بمفتاح خزائن الأعرابيات.

أبو علي: عسى أن تكون صادقة فيما خبرت يا مولاي.

الخليفة: أما وربى لئن تبين لي أنها أرسلتني إلى الصعيد عبثًا لأستلنّ لسانها من قفاها، ولأفغان عينها التي كذبتها فكذبتني.

أبو علي: ما أظنها تخطئ الوصف يا مولاي.

الخليفة: لقد أبصرت بفتاة كاللؤلؤة على المخمل الأسود تدخل خيمة بجوار هذي، وهي كما وصفت لي ربيعة ... لولا أنني لم أملا كل عيني منها.

أبو علي: تعني تلك الفتاة البيضاء ذات الخلال الأبيض، والخمار الأزرق، والثوب الأسود.

الخليفة: أجل هي يا أبا علي ... لعمرى لئن كانت هي البدوية التي ذكرتها ربيعة لأغدقن عليها نعمتي، ولأجعلنها قهرمانة قصرى ما حييت ... هذي الفتاة ساحرة يا أبا علي، والله لئن كانت هي البدوية لاستوجبت أن أهبها كل ملكي.

أبو علي (يضحك): ها ها ها! هب أنها فتاة أخرى يا مولاي، ألا تهبها ملكك سواء بسواء؟!!

الخليفة: لا أدري.

أبو علي: لا تدري ... كيف؟ إنك لا تطلب من البدوية إلا جمالها الفتان الذي روت عنه ربيعة، وقد فتتك جمال من رأيت الآن قدر ما فتتك وصف الأولى، فماذا يفضل هذي عن تلك؟

الخليفة: إن للبدوية هوى قديمًا في نفسي يا أبا علي، والأذن تعشق قبل العين أحيانًا ... لقد ذكرت لي ربيعة ما ذكرت عن جمالها فصورته لنفسي، وعشقتة، وهمت به في الفلوات والبوادي كما تراني الآن. أليس مجيئي من مصر مقر ملكي إلى سيوط هذي غرامًا وهيامًا؟

أبو علي: وفوق الهيام يا مولاي.

الخليفة: ليس فوق الهيام إلا الجنون (يضحك) أعني ذلك؟ أجل إنه جنون، ولكن لذة العيش في الجنون ... فأنا إذا أثرتها على غيرها فذلك انتمارًا بأمر الهوى، ولا مرد لما قضى.

أبو علي: صدقت يا مولاي ... ما عجبت لشيء في الحياة عجبي للإنسان.

الخليفة: كيف ذلك؟

أبو علي: أنت أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، تخفق راية عزك برًا وبحرًا، ويزار أسد مجدك شرقًا وغربًا،<sup>1</sup> ومع ذلك تصبو إلى جمال فتاة عربية شريفة في الفيافي، ولا تجد غضاضةً عليك أن تهبط كل جاهك وعزك كما تقول، فما هذا يا مولاي؟

الخليفة: أصغ يا أبا علي، هاك الجواب: لقد شبعت نفسي من كل شيء؛ نلت كل ما تشتهي النفوس، وبلغت أقصى المقاصد، وهدأت ثائرة النفس مني، فأنا أستطيع اليوم أن أعرف السر ... أتدري ما هذه الدنيا التي نعيش فيها؟ وما دنيا من سبقونا في الجاهلية، وما بعدها ... في الشرق والغرب على اختلاف العادات، والمشارب؟!

أبو علي: هات لنرى!

الخليفة: الدنيا هذه ... أي طريقة معاش الناس، أمر افتعلوه؛ خلقوه لأنفسهم، ونشأوه لأنفسهم كما تنشئ لنفسك دارًا تحشوها أثنائها، وتهيبها كما تشتهي، وقد تتقوض، وتبني على نظام آخر يختلف عن الأول في كل شيء؛ تتغير أو تقنى، ولكن الأرض التي تقيم دارك عليها باقية لا تتغير ولا تقنى.

أبو علي: هذا صحيح، كل ما خلقه الله يبقى ولا يتغير، وكل ما خلقه الإنسان يتغير ويفنى. هذا شيء صريح؛ فما المراد؟

الخليفة: الإنسان على الفطرة. لا يستطيع التخلي عنها مهما حاول، ومهما قيد نفسه أو قيد غيره

بشرائع، وأديان، وآداب، وواجبات ... وأول شيء رُكِّب فيها حب البقاء على أحسن حال، وآخر جهود الإنسان الحصول على المرأة ليبقي منها في ولده من حيث لا يدري، والأمم كالأفراد يتزاحمون ويتشاحنون ويتضاربون ويتقاتلون؛ لتحصيل ذلك على أحسن حال، وكل ذلك تحقيقاً لفكرة البقاء التي رُكِّبت عليها أنفسهم من حيث لا يعلمون إلا بإعمال الفكر.

أبو علي (بعد التفات وإصغاء بتلطف): لو نهض أفلاطون اليوم من قبره ما كان عجبه لهذه الحكمة دون عجبتي ودهشتي.

الخليفة: ليست هذه فلسفة يا أبا علي، هذا ما رأيته كما قلت لك بالاختبار والنظر، دخلت بيت الحياة ... الدار التي وصفتها لك ... أو الواحة التي أخصبها الإنسان بيده، وهياً كما اشتهى، وسط الصحراء القديمة الخالدة التي لا تقنى، وسرت في الواحة من أدناها إلى أقصاها، وأمعت في طلب آخرها؛ فرأيتني خرجت إلى الصحراء مرة ثانية.

أبو علي: فماذا شعرت يومئذ؟

الخليفة: شعرتُ — بل تبينتُ — أن المرأة سيدة العالم، وأن الرجل خادمها، ولكن ضعف جسمانها وقلة حيلتها اليدوية توهمانه أنه السيد وأنها المسود ... وقد جمد الرجل على هذا الوهم وظل مغتبطاً به فزادت سيادة المرأة عليه؛ لأنه لما لم يعرف ذلك لم ينازعها سلطتها الحقيقية، وقد زادته الأديان والشرائع ثباتاً على هذا الظن؛ ولذا فهو الآن لا يعمل إلا لها ولا يقاتل إلا لحمايتها ولا يُعنى إلا بلذتها، فإذا قصر في ذلك تكدر وغضب، لا لأنه لم يحصل غرضه بل لأنه جدير يومئذ أن تزور عنه المرأة وتغضب عليه؛ فكان مصابه عظيماً. أما إذا هي عزته أو هونت عليه الأمر اطمأن وأفرخ، كأنه يشعر من أعماق نفسه أنه لا يعمل إلا لها، وإن كان هناك بون شاسع وفرق عظيم بينه وبينها حسباً ونسباً. إن الفطرة لا تعرف المراتب ولا تُقر المناصب ... حسب المرأة أن تكون جميلة لتكون سلطانية، تأمر وتتهى، وتحل وتبرم بلسان الرجل ويده. يتوهم الرجل إذ ذاك أنه يفعل ذلك بملكه، والحقيقة أنه مسوق بيد خفية هي يد المرأة التي تلبسها يد الفطرة كالقفاز.

أبو علي: صدقت ... صدقت يا مولاي ... مرحت لك مرحتي.

الخليفة: ولذلك فإني لا أراني أتردد في أن آخذ من كانت فتانة الحسن، لا لأهبها ملكي تكريماً بل لأعطيها ما أمرتني الفطرة أن أعده لسيدة امرأة مطاعة، وأنا أتظاهر من حيث لا أرى بأنني أنا الأمر بأحكام الله، لا المأمور بأحكام النساء.

أبو علي: ها ها ها، إذا كنت اليوم على وشك أن تهب ملكاً وتمنح تاجاً؛ فإني سائلك بالله أن لا تتساني، أعطني الوزارة التي كانت لأبي، يغفر الله لك.

الخليفة: ها ها ها! إذا شاعت البدوية أن تتالها يا أبا علي فهي لك بإذن الله ... ألم تع ما كنت

أقول؟!!

أبو علي: معذرةً يا مولاي ... ما أنا إلا رجل واهم مثلك.

الخليفة: ها ها! هلم بنا نرجع، أنا في انتظار رسول أسامة، وأرانا غبنا عن العسكر طويلاً ... سنظل متتكرين في هذه الثياب حتى نرى الفتاة، ونستطلع رأي أبيها.

أبو علي: هو كذلك يا مولاي، هلم بنا، عوضني الله خيرًا.

الخليفة: ها ها ها! هلم بنا (يخرجان من اليسار، وتدخل البدوية عجلةً تتبعها ناعسة ومعها وسائد).  
البدوية: هلمي يا ناعسة، هلمي! أعدي الوسائد؛ إني رأيت الجمع يدنون من مخيمنا، أسرعي (تلقى لها الوسائد فتأخذها ناعسة، وتهيئها إلى اليسار).

ناعسة: وفد الخليفة يجلس على هذه الأرض، يا للعجب!

أسامة (يدخل، وهو يرخي كفه كأنه كان مشتغلًا بشيء يخشى أن تتسخ منه أطراف الكم): إن هذه الأرض أرفع منزلًا من عرش الخليفة نفسه، هذي أرض لم يدنسها دنس، ولم يُقتَرَفَ عليها مُحَرَّم، هذه الأرض أخرجت للناس عمك وأباك، وأهلك الذين أجلسوا ابن فاطمة على عرش الخلافة، هلم أسرعي، أعدي العشاء.

ناعسة: حبًا وكرامةً (تخرج أثناء حديث أسامة، لا ينقطع الطبل، وعليه فإذا خرجت ناعسة يقدم الموكب يتقدمه بعض الجند والخليفة وأبو علي في وسطه، ويحيط بهم جملة عبيد وبعض رجال ونساء جاؤوا على الصوت، وهم ينشدون):

يا مرحبًا بالوافدين      يا مرحبًا بالأكرمين  
قد زارنا كل منى      وجاءنا الخير المبين

أسامة وعبدة:

أهلًا بوفد الأمر      مولى موالي المسلمين  
خليفة الله على      كل البرايا المؤمنين

الخليفة وأبو علي ورجاله:

شكرًا لمن أنتم له      خير الموالي الصالحين  
ما كان عبدًا من يكون      كمتلكم في العالمين



أسامة: مرحبًا بكم يا سادة، مرحبًا برسلك أمير المؤمنين، نزلتم أرضًا سهلًا ومكانًا رحبًا، تفضلوا بالجلوس على بركة الله.

الخليفة: سلام على أسامة شيخ أعراب الصعيد ونصير مولانا الخليفة، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ...

أسامة: وعلى أمير المؤمنين وعليكم السلام.

الخليفة: إنا وفدنا على ديارك قاصدين، لقد طالما ود أمير المؤمنين أن تكون معه في القصرين جليسا يأنس بك ويستعز، وتكون له نعم النصيح الأمين، وقد بلغه أنه لا يقعدك عن الرحيل إليه إلا فتاة حسناء تؤثر البادية على الحاضرة، ولبس العباءة على الشف، فجئنا إليك بأمر مولانا نستدعيك إليه أنت وابنتك لتنزل بها في منظره اللؤلؤة ...

أسامة: شكرًا لأمير المؤمنين وحمدًا، لا مرد لحكمه ولا تعقيب لكلماته ... ولكني استنفرت لقتال أعدائه في المغرب وسأرحل في سبيل الله وشيكا، إن أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — كثير الوزراء والنصحاء، بيد أن له من حكومته وصواب رأيه عصمة من الزلل، وحمى من الخطل، وما أنا إلا أعرابي لا أعرف إلا الله والسيف، فأما السياسة ومناهجها والممالك ونظامها، فما لي فيها حيلة ولا اقتدار، وما خسر امرؤ عرف قدر نفسه ...

الخليفة: إن الخليفة قد أقالك الرحيل إلى المغرب؛ لأنه يريدك لأمر أهم لديه وأعظم ...

أسامة: إن كان الخليفة قد أقالني فما أقالني ربي، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، هذا يوم أيها الفرسان يغبط به المسلم، فإما نال الشهادة فرُفَّ إلى جنة عدن، وإما استُبقي حتى يتم حق الله عليه في قومه ودينه، أفتعرض لي الجنة ثم أباهأ، أوتر عليها مجلسًا في منظره على الخليج من القاهرة؟! كلا، كلا ...

الخليفة: لك ما ترى يا أسامة، ولكننا أتينا إليك بأمر مولانا نلقي إليك جملته، فإن يكن لك على حكاية بره بك اعتراض فليس من الجود أن تحملنا إياه، تعال معنا أنت وابنتك شاكرًا ثم اعتذر؛ فإنه لا يأبى عليك السؤال متى استبان له العذر ...

أسامة: سأذهب معكم أيها الوفد الكريم وحدي، أما ابنتي فلم تعد تقعدني حمايتها عن الرحيل ...

الخليفة: كيف؟

أسامة: لقد عزمتم أن أرفها إلى ابن عمها فهو اليوم يحميها، بل لقد نزلت لهما عن ضيعتي ومالي ورجالي، وأصبحت اليوم ضيفًا عليهما، فإذا قضى مولاي أن أجيء إليه فإني أملك ذلك، أما ابنتي فلم أعد أملك رحيلها أو بقاءها لنرحل معًا حتى ألقيه، ثم لأرحل بعد ذلك في سبيل الله (يرى ابن

مياح داخلًا) هذا بعلمها ابن أخي حسين بن مياح ...

الخليفة (يؤخذ): بعلمها! هذا؟! ... سلامٌ يا ابن مياح.

مياح: وعليك السلام أيها الفارس، مرحبًا بك وبصحبك في ديارنا.

الخليفة: شكرًا لك يا ابن مياح.

(عند ذلك تدخل أميمة وناعسة، فإذا رآها الخليفة امتلكته دهشة لروعته، أثناء التفات الخليفة يلتفت الجمع وأسامة أيضًا إلى القادمتين.)

أسامة: وهذه ابنتي أميمة، وبنت أخي ناعسة.

(أثناء نطق أسامة بالجملة ينطق الخليفة بجملة الآتية دون أن ينتظر أسامة.)

الخليفة: هذه! هذه! ما أبهى هذا الجمال! لقد صدقت ريبطة.

البدوية (عند انتهاء أبيها والخليفة من جملتهما): مرحبًا بالفوارس أنصار مولانا أمير المؤمنين.

الخليفة: مرحبًا بك يا زهرة العرب، إن أمير المؤمنين يهدي إليك هذا العقد تذكيرًا لشكره القديم الباقي.

أسامة: شكرًا لأمير المؤمنين؛ إنه يطوقنا منة كبرى، تقدّمي يا أميمة فتقبّليه.

(تتقدم أميمة إلى الخليفة فيقلدها العقد وهو مأخوذ.)

الخليفة: سبحان الخلق العظيم!

البدوية (وقد ابتعدت وتعرضت المرشح في عودتها إلى الجمع): لتلك والله مكرمة تملأ بيت آبائي عزًا وفخرًا، ما لنا بشكر أمير المؤمنين يدان.

الخليفة: يا أميمة، لقد كلفني مولاي أمير المؤمنين أن أسأذك أنت وأبوك الكريم في الرحيل إليه لتكونا في جواره بقصر اللؤلؤة؛ اعترافًا بفضل أبيك على آل بيته، وأملًا في الائتناس به وبرأيه.

البدوية: إن أمير المؤمنين يستكثر قليلنا ويستكبر صغيرنا، فاحمل إليه سلامنا وشكرنا ثم ابذل له عذرا، إنا قومٌ لا نطيق سكنى الحضر ولا نستلذه، فما ظنه أمير المؤمنين برّا بنا ليس إلا شقوةً لنا، له منها ثواب حسن نيته ولنا فيها عذاب إيثاره.

الخليفة: ولكن قصر اللؤلؤة يا أميمة مغنى ليس له في القصور مثيل.

البدوية: من ذا يترك هذه البادية الواسعة الأرجاء، يؤثر عليها غرْفًا ضيقة الصدر مقيدة الهواء؟ من

ذا يترك سماء الله انتشرت فيها نجوم اللؤلؤ والجمان، إلى قبة دانية افتعلتها يد الإنسان؟ إن العربي أيها الفارس لا يعتاض عن خيمته إيوان كسرى، ولا حاضر نعمته أخرى، يزود عن المدينة ليبقي على نفسه سيفه وحُلقه ودينه، يرى أهل الحضر فيشفق عليهم، ويستتظر الله إليهم؛ خلق غير وثيق، وتكرر للصديق عند الضيق، سعاية يوم الامتحان، ووشاية يوم الكتمان، وما نرضى لأنفسنا أيها الفارس، ولا لأعقابنا حالًا كهذا:

نحن قوم نرى الحياة اعتزازًا      بنفوس أبية وصوارم  
قد خُلِقنا لا نعرف المين في الحق      قِ ولا نرتضي بصغرى المظالم  
ديننا دين عزّة وإباء      ومضاء ونجدة ومكارم  
والبوادي كفيلة ببقاها      وسواها كفيلة بالمحارم

(تنسحب إلى الورا هي وابن مياح، وتدخل وسط جماعتها.)

أسامة: أحسنت يا بنية!

مياح: أحسنت يا أميمة!

الجميع: مرحى! مرحى!

(تظل البدوية وابن مياح مشتغلين عن حديث الخليفة وأسامة بما يجري بينهما من الكلام الذي لا يُسمع.)

الخليفة: لقد استلبت هذه الفتاة لبي، وأفحمتني فما تتفع حيلتي، دبرني يا أبا علي.

أبو علي: لقد — والله — أرتج علي، فلا أدري بماذا أشير، ولكن لماذا لا تخطبها إلى أبيها؟

الخليفة: أما سمعت أنها مخطوبة لابن عمها هذا؟

أبو علي: قد ينزل عنها إثارةً للأمير المؤمنين.

الخليفة: لا أرى ذلك؛ إن هؤلاء الأعراب لا يروننا مثلهم بما خالط دماءنا من دماء الأعاجم، ومع ذلك (يلتفت إلى أسامة) يا شيخ العرب، لم أشأ أن أبدئك بما يريد أمير المؤمنين، إن أمير المؤمنين ليعرف صدق مقال ابنتك ويقره، بل لقد كان منذ أيام في قاعة الذهب يثني على الأعراب، ويذم عشرة الأخلاط، ولقد ودَّ أن يحيي في نفسه سنة آبائه الأولين ويحفظ نسب الفاطميين باتصاله ببيت كريم؛ فنظر وتدبر فإذا أنت قطرة العطر المشتارة من أزهار العرب؛ فأوفدني إليك خاطبًا، ولكني لم أشأ أن أنفض إليك الخبر إذا استطاع أن يكون هو أول النافضين، كذلك أمرني وكذلك فعلت، فلما لم تجبه إلى طلبته في القوم عليه، لم أرَ بدًّا من أن أنفض إليك عبارته، وأنت ترى أن

مصاهرة أمير المؤمنين ...

أسامة: أه! ويح نفسي من لكنة تصيبيني وعي يتولاني (للخليفة) لقد كان فيما فات بلاغ أيها الفارس (يلتفت عنه، ثم يعود إليه ويتكلم) إن أمير المؤمنين سيّد البلاد له الأمر وعلي الطاعة، ولكن ابنتي — كما خبرتك — قد خرجت من يدي، عزمت أن أرفها إلى ابن عمها.

أبو علي: ليس العزم نفاذاً يا أسامة.

أسامة: كيف؟! إني ما عزمت على شيء ترددت فيه؛ (فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)، بيد أني وهبتها لابن عمها، ولن يحل الله أن أهب ما ليس ملك يميني ... فإذا عُدَّتْ إلى مولاي أمير المؤمنين فانشر له بلاغي وما قد رأيت.

الخليفة: ولكن الهبة لم تتم يا أسامة ... إنك لم تعقد له عليها.

أسامة: ما حَتَمَ الله علينا أن يكون العقد كتاباً، لقد رضيت بزواج الفتى من ابنتي وأنا وليها، فتمَّ العقد والحمد لله.

الخليفة: ولكن شرعة الناس في مصر أن يكتبوا بذلك؛ حفظاً للأنساب وقطعاً للارتياب.

أسامة: إنهم هناك في حاجة إلى ذلك؛ لأنهم يخشون تعنت الأزواج ونحن لا نخشى عننا، وقد زوجت ابنتي بملكي لكفو لها ولن يغلبه أحد عليها، بل لعمرى لئن لم أفعل ذلك وكانت ابنتي في يدي، لأبيتها إلا على طاهر الخوولة والأعمام.

الخليفة: وي ... أفأنت لا ترى خوولة أمير المؤمنين؟! ...

أسامة: أنا وما أرى أيها الفارس ... أقلني الحديث في هذا الشأن.

الخليفة: إنك لجريء المقالة يا أسامة!

أسامة: ما عهدتني أخشى في الحق لومة لائم ... إن هؤلاء الفاطميين قد استباحوا الخلافة لأنفسهم بما لهم من صلة بفاطمة الزهراء لا بزوجها علي عليه السلام، وإلا لتساووا هم وبنو العباس في حق الخلافة ... فإذا كانت المرأة قد ميّزتهم؛ إذ كان دم محمد في ابنته كل شرفهم، فلماذا نراهم لا يستولدون إلا الروميات، والصفليبات، والتركيات؟! أف لهم كيف يكذبون؟! ...

الخليفة: ويحك يا أسامة! إن لأمير المؤمنين حرمة ...

أسامة: ما دام على الحق، ولا أراه في هذا على شيء من الحق.

الخليفة (لنفسه): إذن فلا سبيل ...

أبو علي: إلا بالافتسار.

الخليفة: هذه جراءة لا تُحمد يا أسامة.

أسامة: لا أجرؤ إلا على الظلم أيها الفارس ... أما سمعت مقال ابنتي؟! ... أين الفتاة؟

ناعسة (تتادي): أميمة.

أسامة: أميمة.

البدوية (تأتي من بين الصفوف): لبيك يا أبي.

أسامة: تعالي واسمعي ... إن أمير المؤمنين يخطبك لنفسه.

البدوية: يخطبني! فضل من أمير المؤمنين، ولكني لا أبيع ابن عمي هذا بتاج بني فاطمة الأكرمين.

مياح: ولا أنا إياك بحور الجنة أجمعين.

البدوية: إن كان العقد سبيل الخطبة؛ فهذا عقده أرده إليه مع الشكر العظيم (تنزعه، وتقدمه للخليفة وهو مضطرب).

الجميع: مرحى! مرحى! (تظل أميمة ممسكةً بالعقد تقدمه إلى الخليفة، وهو ملتفت عنها).

الخليفة: لقد أشعلت الفتاة نار غرامي، وزادني الرفض هيأماً.

(عند ذلك تعلق البدوية العقد على يد الخليفة وهي ممدودة، ثم تتسحب وهو في غفوته الأولى، وتبقى يده ممدودة، والعقد مدلى منها وهو لا يشعر.)

أبو علي: اقتسر، إنما العاجز من لا يستبد، دع لي الكلام (إلى أسامة) لقد بقي لنا يا أسامة أن نبلغك وعيد الخليفة ... إذا أنت لم تجبه إلى طلبته فقد أهدر دمك.

أسامة: أهدر دمي! أخسأ أنت ومن عنه تتوعد، تتذرنني بوعيد الخليفة المأفون؟! وي! لعمرى لئن بغى علي لتموجن البوادي بكل عربي في صدره نفس يتردد، وليسيلن الوادي قبائل إلى القصرين فهدهوما هداً، وتلوا عرشه تلاً.

مياح: أراكم يا قوم شر الرسل! متى كان أمير المؤمنين يهم بمنكر كهذا، وبخرق كالذي عنه تتذرون؟! إن ابنة عمي هذه زوجتي بسنة الله ورسوله؛ فهل قام أمير المؤمنين لينقض سنة الله ورسوله؟! لعمرى لئن كان كذلك لأهدرتُ أنا دمه.

أبو علي: ويحك! يا زعنفة العرب.

أسامة: خسئت من أحق ثرثار، أيقال هذا لهذا الفتى؟! لعمرى لنقطة دم من دمه لأشرف من دمائكم أجمعين، انصرفوا خبروا خليفتم بما سمعتم، وافتقدوا زادكم على الأبواب، لقد نحرت لكم أكرم نعمي — حسن ظنُّ بكم وإجلالاً لمن أرسلكم — ولكني، وإن غضبت، لا يصرف الغضب نفسي عن الجود، اذهبوا على بركة الله، ولا تحملونا على أذاكم بما تهترون.

أبو علي: ويحك! أتقول هذا؟! يا رجال (يدخل عدة رجال مسلحين).

البدوية: ويلاه!

أبو علي: اعتقلوا هذا الشيخ، واذهبوا بالفتاة إلى العشاريات.

أسامة (وقد دنا منه بعضهم شاهرين السيوف): إليكم يا أعوان الشيطان (يجرد سيفه ويضاربهم، ولكنهم في النهاية يضربونه فيقع، ويكون الجماعة الذين ذهبوا ليأخذوا البدوية قد ضاربوا ابن مياح، وهو متعلق بأهدابها حتى جرح فسقط، وخرج الناس حاملين البدوية على أيديهم).

البدوية (أثناء خروجها): حسين، حسين!

مياح (وهو ملقى على الأرض): لبيك، لبيك!

ناعسة (تعود بعد فرارها فترى أخاها): أخي، أخي، ويلاه جرحت؟

البدوية (من الخارج): حسين، حسين!

مياح: لبيك هأنذا (يحاول النهوض فيسقط)، ويلاه! خارت قواي.

ناعسة: ويلي! ويلي (تضمد جرحه بالثال تنزعه عن المنسج).

البدوية (على بعد): حسين، حسين!

ناعسة (تسمع تأوه عمها فتلتفت): من هذا؟! عمي يُحتضّر، ياويلتاه!

(تذهب إليه).

أسامة: عاطني سيفي، عاطني سيفي.

ناعسة (تبحث عن السيف، ثم تقدمه له): ها هو ذا، رباه!

مياح: أميمة! أميمة!

أسامة (يحاول أن ينهض، ولكنه لا يستطيع، فيمد يده ليقبض على السيف فيتناوله، ثم لا يلبث أن يسقط من يده): سيفي، سيفي ... آه، آه، آه.

(يظل على الأرض يتأوه ويُسدّل الستار.)

---

<sup>1</sup> كان عَلمُ الفاطميين قطعتين من النسيج خُيِّطتا على صورة أسدٍ مفتوح الفم، فإذا ملأهما الهواء انتفختا فمثلتا أسدًا يسير.



## الفصل الثاني

يُكشَف الستار عن قطعة أرض من بستان الروضة، فيه إلى اليمين مقعد من الخشب جميل الصنع عليه متكآت من الريش، وهذا البستان على نهر النيل، وطريق الجيزة ظاهر من وراء الماء، وإلى يسار المرشح بالنسبة للمتفرج قصر عربي جميل البناء، هو قصر الهودج الذي بناه الخليفة الأمر للبدوية. أما هذا القصر فيقع عند الممثلين في منتصف الجدار الأيسر للمرشح، بحيث تبقى مسافة بينه وبين النيل، ومثلها بينه وبين المتفرجين، وللقصر باب صغير إلى جانبه نافذة صغيرة ذات شباك مربع من النحاس، إذا ارتفع الستار وجدت البدوية جالسة على المقعد في ملابس جميلة، والمرأة رَيْطَةٌ — بفتح الراء، وتسكين الياء، وفتح الطاء، التي ورد ذكرها في الفصل الأول — واقفة إلى يمينها، فهي متجهة إلى الجمهور، وهي لابسة ملابس الوصيفات، ووجهها قد شُوّه بشيء من الكحل مدلى فوق خدها يستر حقيقة خلقتها الجميلة، والمرأة عصبية المزاج شديدة النشاط، أما البدوية فظاهرة الكآبة في جلستها، ويرأها الرائي قد اتكأت بمرفقها إلى جانب المقعد وأسندت رأسها براحتها؛ ولذا فهي مائلة في الرقدة ...

البدوية: تشفقين علي، وأنت التي أغريت الخليفة بي؟

ريطة: إذا ساءك ما فعلت فحسن ظني شافع، لقد زعمت أنك تعرفين أن الدنيا أربعة أمور: مأكَل، ومشرب، وملبس، ومنامة. وإن الذي ينالها على أحسن حال هو السعيد، وإنك تعلمين أن هناك شيئاً خامساً لا أستطيع ذكره في حضرتك، فإذا أنا مكنتك من كل ذلك في قصر الخليفة، وكان الخليفة لك زوجاً، كنت ...

البدوية: والقلب يا ريطة؟ ونعمة الحب؟ إنني أحب ابن عمي، ولا أشتهي من الدنيا شيئاً سواه، هو دنياي وجنتي، وما هذا القصر بأحب إلي من خيمة أبي، ولا هؤلاء الأجناد بأعظم من عبيده، وما جلستني بجوار هذا الخليفة بأعز علي من رؤية ابن مياح يحادثني وأحادثه كالحمامتين استقلًا عن الدنيا في مهب الرياح، أه يا ريطة لعمرى!

لللبس عباءة وتقر عيني      أحب إلي من لبس الشفوفِ  
وأكل كسيرةً في كسر بيتي      أحب إلي من أكل الرغيفِ  
وببيت تخفق الأرياح فيه      أحب إلي من قصر منيفِ

ما نعيم الحياة يا ريطة إلا راحة القلب، وأين مني راحة القلب وحبيب القلب مفقود؟! واحسرتاه عليك يا حسين!

ريطة: ولكن ماذا ينفع هذا النحيب يا مولاتي؟ لقد قضى ابن عمك في ذمة الله كما بلغت، فهل ينفعك اليوم وَجَدك عليه؟ تدبري يا سيدتي وانظري، أعاد إليك ابن مياح بعد إذ فارقتَه عامًا؟ البدوية: لو كان في الأحياء ما تركني هنا.

ريطة: إذن فلماذا تمنعين نفسك عن الخليفة، وتسومينه كل هذا الهجر، وهو راضٍ بذلك، صابر حتى تهدأ ثائرة نفسك؟ لعمري لو كنت من القطا ثم مضى عليك مثل ما مضى لاستأنست، ويحي! ماذا ينفع ابن مياح اليوم وفاؤك وهو في أحضان الملائكة؟! ...

البدوية: أقصري يا ريطة أقصري، أراك تفتحين جراح قلبي وتدمين حبات فؤادي، أما يكون الوفاء إلا للأحياء؟! لقد جهلْتُ الشعر وأنكرتني المكارم إن خنت عهد ابن عمي في نواه.

ريطة: ستأسفين يا ابنتي على عمر تقضينه حزناً وبكاء، وشباب تقضينه همماً وشقاء، من ذا الذي يشعر بمصابك ويرق لحالك، بل هبي أن في الناس من يرثي لك ويتوجع، فما ينفعك الرثاء؟ البدوية: لا شيء لا شيء، ولكن للحزن لذة وللبياء نشوة، هما بعض رحمة الله وحنانه.

ريطة: ولكنك إذا فكرت، ثم قلت ما هذا الخيال الكاذب الذي أنا فيه، ثم نهضت فاقتبلت موكب السعادة المقبل عليك؛ لحمدت عقباك وأسفت على ما فات.

البدوية: هيهات! ليس إلى العزاء سبيل.

ريطة: ما لي معك حيلة يا بنية، ولكني أشفقت على شبابك، فأردت أن أبقى عليك؛ لأن الخليفة ...

البدوية: إنني أعرف ذلك، ولهذا أعددت نفسي. لن أرضى في الناس بابن عمي بديلاً. أسمعكِ؟

ريطة: والسيف يا أميمة؟

البدوية: هذا كل ما كنت أرتجي، أفإذا عرض لي الموت الذي يجمعني بالحبيب أباه؟! وافرحه القلب ونعماه!

ريطة: بارك الله فيك يا أميمة (تقبلها)، والله لأنقذناك منه يا أميمة، يمين الله عليّ ذلك يا ابنتي، ولقد سبرت غورك الآن عامًا كاملاً، فلم أعد أخشى فضيحة سري.

البدوية: ما هذا يا ريطة! لقد بدل منك، ألهذا سر؟

ريطة: سر، وأي سر يا ابنتي؟ أتقسمين أن لا تبوحني؟

البدوية: كيف تطلبين إلي هذا، وقد أفضيت إليك بسري، وما سألتك عليه قسمًا؟  
ريطة: إذن فاذكري أنني أنا جارية الإمام المصطفى لدين الله زعيم الإسماعيلية.  
البدوية: من هو هذا؟

ريطة: الأمير نزار بن المستنصر بالله أخو الخليفة المستعلي أبي هذا الذي في دست الخلافة.  
البدوية: أنت جارية عمه الذي قُتل ظلماً في القصرين.

ريطة: أجل! أجل! بل أنا أم والدة الأمير حسن الذي هو الآن في برقة فأرًا من ظلم ظالمه حتى يأذن الله ...

البدوية: وكيف لا يعرفك هذا الخليفة؟

ريطة: يعرفني! كيف يعرفني وقد فررت بولدي إلى برقة قبل أن يُولد، لقد مضى اليوم ست وثلاثون سنة، بيد أنني أخفي نفسي حقيقةً تحت هذا الكحل كما تفرست بالأمس خشية أن يفتضح أمري لمن يعرفني، ولكنني أحمد الله على أنه عمل برأيي فلم يُحضر معك في هذا القصر أحدًا من أهل أبيه.

البدوية: وماذا جاء بك إلى ديار أبي في الصعيد؟

ريطة: جئت أعمل لرد الخلافة إلى ولدي.

البدوية: ولكنك لم تفعلي شيئًا، أكنت تريدين أن تستصري بقبيلتنا؟

ريطة: بقبيلتكم؟ قبيلتكم التي عاونت المستعلي على قتل سيدي!

البدوية: إذن فلماذا جئتنا؟

ريطة: لم أشأ أن أطرق القاهرة حتى أعيش بين عرب الصعيد ونوره عهدًا أصقل به ما صدأ على لساني من لهجة أهل المغرب، حتى لا يسترييني هذا الخليفة إذا أنا حادثته؛ فقد علمت أنه كثير الحذر يخشى أنصار ولدي، ولما كنت قد علمت أنه مولع بالأعرابيات، وكنت قد سمعت بما منَّ الله به عليك من جمال الحور ...

البدوية: وي، وي!

ريطة: رأيت أقرب خطة للبلوغ إليه والقرب من نفسه أن أعلمه بأمرك، ولم أكن أدري أنك عالقة القلب بابن عمك.

البدوية: كيف؟ ألم أخبرك أنني كنت على وشك أن أرف إليه؟

ريطة: حسبك ككل مخطوبة يا بنية، إن تكن تحب خاطبها فإنها لا تأبى أن تكون لخاطب أحسن منه، على أنني كنت ذات مقصد زعمت تحقيقه يدنيك أنت من السعادة.

البدوية: آه يا ريطة، انظري ماذا فعلت؟! قتلت لي أبي، وابن عمي، وعبيد أبي، قوضت بيتي، ونزعتني من بين ذراعي من أحببت من أجل غرض لك قد لا يتحقق.

ريطة: صه! لا تنفري، إنه محقق بإذن الله.

البدوية: أنتم أيها الناس تستحلون كل شيء باسم الله في سبيل أنفسكم، ولا تعرفون أية جريمة تقتربون، عفا الله عنك يا ريطة ... ومن ذا الذي جمعك بابن الأفضل؟

ريطة: جمعتي به المصلحة، إنه يضرر السوء لهذا الخليفة.

البدوية: يضرر السوء، وهو الذي كان معه يوم سرقني، بل هو الأمر بذلك!؟

ريطة: لم يكن يستطيع أن يفعل غير ذلك ليوغر صدر الأعراب، إنه يريد أن يملأ الدنيا له كرهًا.

البدوية: لِمَ هذا؟

ريطة: لأنه قتل له أباه، وأبوه الذي بايعه بالخلافة كما بايع أباه من قبل، قتله وهو ذو الفضل عليه، كما قتل وزيره المأمون بعده لَمَّا أراد هذا أن يستخلف أحمد بن نزار.

البدوية: أحمد أخا ولدك حسن؟

ريطة: أجل، كان أكبر أبناء سيدي نزار، وكان قد فر إلى اليمن حتى دعاه الوزير المأمون البطائحي إلى القاهرة سرًّا فجاء، واستكشف الأمر أمره، فقبض على أحمد وعلى المأمون وإخوته الخمسة، وقتلهم.

البدوية: يا لله!

ريطة: واليوم لا يستوزر الخليفة وزيرًا ولا يولي أميرًا، أفتعجبين أن يحق أبو علي لزوال دولته عنه، وكان الملك في بيته منذ عهد جده أمير الجيوش بدر الجمالي.

البدوية: إذن، فهو يعمل في الخفاء على خلعه.

ريطة: أجل وتولية ولدي، أفي ذلك ريب؟! لذلك يمت قصره، وألقبت إليه نبأ، وأقرني على رأيي. وذهب للخليفة من فوره، فرحل هذا إليك، ثم أتيت، وجعلني في خدمتك.

البدوية: أو الرقابة عليّ؟

ريطة: أنا التي دبرت ذلك بمعونة أبي علي، وإنما رضي بذلك ليأمن سعاية نسائه.

البدوية: وما كان قصدك مني؟

ريطة: لم يكن لي منك قصد إلا أن أصل إلى الخليفة، وها قد وصلت، ولكني غير قادرة على تحقيق غرضي، وبما أنك يا بني لا تريدينه، وقد سبرت غورك، فتبين لي أنك لا تودين البقاء هنا، تشتهين العودة إلى بلادك، فكوني معي واتكلي على الله.

البدوية: وكيف ذلك؟

ريطة: أريد أن تساعدني على قتله.

البدوية (بفرع): قتله! (تصمت) هذا جرم فظيع.

ريطة: وهو ... ألم يقتل أباك، وابن عمك؟ ... دخل عليهما ضيفاً، وخرج سفاخاً.

البدوية: بلى! بلى! ولكن جزاءه بيد الله لا بيدي يا ريطة، كيف ألقى بنفسي في نار جهنم؟!

ريطة: لقد حسبك تثارين لقومك يا أميمة، هل يترك العربي ثاره؟!

البدوية: كلا، ولكن لا يليق بالعربية القتل، ولا بالمسلمة الختل.

ريطة (لنفسها): يا قوة الله! لقد خاب الأمل، ألا تريدين الخلاص من هذا الخليفة؟

البدوية: بلى!

ريطة: أنا أخلصك منه، ولكن على شرط واحد.

البدوية: وهو؟

ريطة: إذا دخل عليك ثم استلقى في فراشه ونام، أن تنهضي تفتحين الباب، منه تخرجين إلى البادية، وأدخل أنا عليه بالقاضية.

البدوية: ولا هذا أيضاً.

ريطة: إذن فوالله لا تبلغين العتق الذي تشتهين.

البدوية: لعمرى لا، الرق أحب إلي من أن تكون لي يد في قتيل.

ريطة: ليكن ذلك، أترضين بالخلاص على أن تتركي باب غرفتك، وأنت فيها وحدك مفتوحاً ثلاث ليالٍ متوالية؟

البدوية: ولم هذا؟

ريطة: لا شيء سوى أن أدخل إليك، ثم أحملك أنا ورجالي برّاً بقسمي ما دمت قد أقسمت لك

بذلك.

البدوية: لقد كان في الإمكان ذلك منذ عهد بعيد، فلماذا تلجأين إليه اليوم؟

ريطة: أريد أن أبعدك عن مشهد الدماء.

البدوية: أليس في ذلك تأمر؟

ريطة: إنني لا أدعوك إلى مناصرتنا، وإنما أعمل على البر بقسمي وعلى أن أحفظ عفافك عليك، فإذا شئت أن تحتفظي به فهذا تدبير.

البدوية: أقره، ولا أشهده.

ريطة: هذا ما أردت، والآن فانهضي ندخل اليهودج، اليوم عيد النيروز وسيفد أهل مصر والقاهرة على هذه الحديقة على عاداتهم كل سنة، هلمي ...

(تتقدمها، تفتح الباب الصغير، وتدخل وتتبعها البدوية، ثم قيل أن تدخل تقف وتنشد.)

البدوية:

رب إنني أنيب مما أراه حائماً في سماء هذا المقام  
إن نفسي تتوق للعشق لكن بنس عتق يُنال بالإجرام

(ويفتح الباب وتدخل، وإذا بالأمير أبي علي قد دخل يمشي الهوينى من اليمين، ثم يتقدم هنا وهناك، وينظر ثم ينطق بسر اللقاء.)

أبو علي: نيروز، نيروز!

ريطة (تطل من النافذة الصغيرة التي في المرسح المفصلة بمربعات النحاس): غدير، غدير!

أبو علي (يتقدم من النافذة): أنت هنا يا ريطة!

ريطة: مرحباً بأبي علي.

(أثناء الحديث يدخل أسامة، وهو مُرتدٍ برنسا أبيض ذا قبعة، وهو محني الظهر قليلاً، وهيئته تدل على أن بفؤاده خبالاً، ثم يقترب من النيل، ويجلس يأخذ بعض عشبه، ويأكل كالقرودة.)

أسامة: هذا مكان جميل، ومرعى خصيب.

أبو علي: ماذا فعلت يا ريطة؟

ريطة: لم ترضَ البدوية أن تقتل الرجل بيدها.

أبو علي: ربما كانت قد عادت فأحبت الرجل.

ريطة: أما هذا فلا، لقد سبرت غورها، قلبت عليها وجوه النصح والتزيين، فلم تزد إلا تعلقاً بابن عمها وكرهاً للرجل.

أبو علي: كأنها لا تستطيع ...

ريطة: إنها تأباه، وتنفر منه خشية عذاب الله.

أبو علي: أهي من هؤلاء؟

ريطة: بل لقد أبت أن تفتح باب غرفتها والرجل فيها، ولكنها وعدت أن تفتحه إذا لم يكن بها ثلاثة أيام متوالية، وإذ إنه يأتي إليها مرة كل يومين إلى آخر الليل إذا عاد من مجلسه في القاهرة، فما عليك إلا أن تحضر رجالك، أدخلهم غرفتها وهي نائمة، حتى إذا دخل الثعلب ظفروا به إذ ذاك.

أبو علي: أحسنت أحسنت، ساعد العدة للغد، أصبح اليوم أمر الروضة وحراسها في يدي، فاطمئني.

ريطة: هذا خبر سار.

أبو علي: وأسّر منه أن سيدي الأمير حسناً حاضر إلى مصر قريباً.

ريطة: حاضر! أوصلتك منه رسالة؟

أبو علي: بل من شيخ الجبل، ينبئني أنه أرسل يستدعي الأمير من مخبأه الذي تعلمين، يوصيه بالرحيل إلى مصر سرّاً، كما أنه خبرني أن بمصر الآن فتى غريباً أرسله في خدمة الله.

ريطة: وافرحتاه! وافرحتاه! هل أخبرك عن اسم هذا الفتى؟

أبو علي: قال إنه يُدعى اليوم «ذو الفقار».

ريطة: ذو الفقار اليوم، فما اسمه الأصلي؟

أبو علي: لم يخبرني به، ليس من الصواب ذكر اسمه، ذو الفقار هذا اسم سيف سيدنا علي عليه السلام.

ريطة: عليه السلام، وما علامته؟

أبو علي: صورة كبش ملون في عمامته.



ريطة: صورة كبش؟

أبو علي: أتعرفين ما كناية الكبش؟

ريطة: لا أدري

أبو علي: الكبش كناية عن فداء فرقة الإسماعيلية، فأنت تعلمين أن إبراهيم الخليل لما رأى في المنام أن الله يأمره أن يذبح ولده إسماعيل لم يتردد في إطاعة ربه، وهمّ بذبحه، فأدركه الله وافتداه من السماء بكبش حنيذ.

ريطة: وهل هؤلاء الإسماعيلية ينتسبون إلى ابن الخليل إبراهيم؟

أبو علي: كلا، ولكنه تيمن، وتشبه جميل، والآن أستودعك الله، إني سأبحث عن هذا الفتى حتى ألقيه، ثم آتي به إليك في أول الليل، فأدخله حيث شئت.

ريطة: حسن! في ودیعة الله.

أسامة: ما ...

ريطة: ما هذا؟! رجل يستمع! قُضي الأمر!

أبو علي: لي الويل. ما هذا ... اخنقي أنت (تخنقي، ويذهب أبو علي صوبه) من أنت يا رجل؟

أسامة: أنا ... ألا تعرفني؟

أبو علي: ويحك من أنت؟ ... متى جئت هنا؟

أسامة: جئت منذ جئت (هذا التسكين على تاء الفاعل في جئت مقصود كي لا يعرف أبو علي هل يعني جئت بالضم أم جئت بالفتح).

أبو علي (بخوف): ولماذا جلست هنا؟

أسامة: أبحث عن حماري.

أبو علي: تبحث عن حمارك؟ أين هذا الحمار؟

أسامة: أنت أخذته (ينهض) ... هات حماري ... حماري الأصهب.

أبو علي: ويحي إني ما رأيت لك حمارًا.

أسامة: إذن فعليك اللعنة.

أبو علي: ويلاه ... من هذا الرجل؟ إني أرى به شبه الحاكم بأمر الله كما وصفوا، أياكون هو

الحاكم؟! لقد قال شيخ الجبل إنه سيعود إلى الدنيا بعد قرن من الزمان ...  
أسامة: أجل أنا الحاكم.

أبو علي: إنه يعرف ما في القلوب، ويلاه! لقد صدقت نبوءة الشيخ، متى نزلت من السماء يا مولاي؟

أسامة: أنا ما نزلت من سماء، ويحك إني كنت في الماء.

أبو علي (لنفسه): لا شك في ذلك، قيل إن ملابسه وجدت ببركة الحبش ولم توجد جثته، فمن أعطاك هذه الملابس يا مولاي؟

أسامة: هذه ملابس الجنة، حاكتها لي الحور (يذهب صوبه) أين حماري قلت لك؟ لقد أخرجته الآن من البحر وجمعت له هذا العشب؛ فأين ذهب؟

أبو علي: والله ما رأيت حمارك الكريم يا مولاي.

أسامة (يصفق بيديه أسفًا): إنه ينكر حماري الأصهب.

أبو علي: آه! لي الويل! تذكرت الآن أنه لا يعني حماره الذي كان يركبه، بل يعني شريعته التي سنّها وخالفها الناس، لقد كان يكني عنها بالحمار (إلى أسامة) كلا يا مولاي لا أنكره.<sup>1</sup>

أسامة: إذن فعلي به، عَجِّلْ هاتِه!

أبو علي: كيف؟ إنك تعلم أي رجل جاهل لا أعرف الحق، فدلني عليه أكن لك نعم النصير.

أسامة: لا شأن لي، هاتِ حماري (يقبض على رقبته) هاتِ حماري، وإلا جعلتك بين فخذي (يهم بركوبه ويجره).

أبو علي: آه! آه! خادمك أنا يا مولاي.

أسامة: أنت خادمي؟! ليس لي خادم لقد قُتِلوا جميعًا في الصعيد ليلة سرقوا ابنتي.

أبو علي: ابنته! من هذا؟ (يتمعن فيه) من تكون يا رجل؟

أسامة: هلم! أوصلني إلى الفسطاط وإلا قتلتك.

أبو علي: ليس هذا فعل إله ولا ولي، أتراني عثرت بمجنون؟

أسامة: وأنت أيضًا تسميني مجنونًا ... أنت أيضًا؟! هاتِ حماري، هاتِ حماري (يقبض على كتفه، وينظر في وجهه) آه أنت؟ أنت هنا.

أبو علي: هذا أبو البدوية الذي صرعته، ويلاه! حم القضاء.

أسامة: عرفتك يا سارق ابنتي، فلا مفر لك مني (يقبض على رقبتة).

أبو علي: ويلاه، النجدة! النجدة!

أسامة: لا تصح، وإلا قتلتك على الفور.

أبو علي: وماذا تريد مني؟ هأنذا سامع فمُر بما تريد.

أسامة: أريد ابنتي، أين هي؟

أبو علي: في هذا القصر، في هذا القصر، هذا هو الهودج الذي ابتناه لها الخليفة خدرًا.

أسامة: خدرًا لها، وقبرًا له!

أبو علي: عسى الله أن يحقق ذلك.

أسامة: كيف؟ أنت ترجو له ذلك؟ أنت!

أبو علي: كيف لا؟ لقد قتل لي أبي الملك الأفضل، وأنزلني عن الوزارة، وصادرني في مالي،

وأراه قد ملأ الدنيا دمًا ونحيبًا، اعفُ عني يا أسامة! اعفُ عني ...

أسامة: أعفو عنك! عنك أنت! وأنت الذي زينت له سرقة ابنتي ...

أبو علي: لا أنكر ذلك، ولكنه هو الذي أمرني أن أستصعبه، ولم يكن لي أن أخالف أمره، وهو

يستريبيني، بيد أنني رأيتُه أعمى في غوايته، فكرهت أن أخرجهُ إلى النور حتى يكرهه الناس طرًا،

ولا سيما الأعراب؛ لأنهم كانوا أنصار أبيه على نزار.

أسامة: نحن لم نكن أنصار أبيه بل أنصار أبيك، إنه هو الذي دعانا لمقاتلة نزار في الإسكندرية،

أه! لقد طالما حزنت إذ كنت تحت لواء أبيك، ولكنكم معشر الوزراء تعملون لأنفسكم باسم الخلفاء،

فإذا رأيت منهم ازورارًا انقلبتم عليهم، ورميتوهم بويلات الأمور.

أبو علي: لقد كان أبي حسن الظن بأبيه وقد صدق ظنه، ولكن هذا ماذا فعل بأبي وبالعرب وبالملة

وبالدين؟! هلم معي يا أسامة، ليس هذا مكان الحديث، تعال معي إلى الدار أحدثك أعجب الأحاديث.

أسامة: ولكنني أريد ابنتي، لا أفارق هذه الأرض حتى أراها.

أبو علي: ستراها، ولكن لا سبيل إلى هذا الآن، وإن وقفت ألف عام.

أسامة: لست أريد أن أملاً منها عيني، كلا، كلا، إنها في قلبي، ولكنني أريد أن أعرف، أغلبها

الرجل على عفافها فأفضي نحبي؟ أم ظلت كما أخذها مني؟

أبو علي: اطمئن يا أسامة، إنها على ما عهدتها، لقد كانت في القصرين حتى أسبوعنا هذا، ثم إذ تم بناء هذا القصر نقلها إليه، ولم تستصحب معها أحدًا من أهل القصرين. إن خادمتها جارية لي، وتعرف كل شيء.

أسامة: بارك الله فيك بما بشرت!

أبو علي: ولكن خبرني، أراك تتكلم عنها كلام العقلاء، أكنت تدعي الجنون؟

أسامة: لا، والله يا ابن أمير الجيوش، ولكني ما زلت منذ سرق الخليفة ابنتي أهيم في الفلوات، أقصد قبائل الأعراب في الصعيد، أشكو إليهم بثي لما أصابني في ابنتي، وأستهضمهم للأخذ بالثأر ممن انتهك حرمتي، فما نفروا معي، بل قال عني الجمع إني مجنون إذ أرفض زواج الخليفة من ابنتي، فهمت في الفلوات لا أدري بمن أستنصر حتى رأيتني أصرخ من وجدي في الفضاء: أميم أميم، ولا أسمع إلا صدى صوتي، فملكني من ذلك خبال يساورني من بعده بعض الأحيان جنة أتبينها في نفسي، وأهم أقلع عنها فلا أستطيع، ولقد اندفعت بي قدماي إلى جزيرة الروضة هذه؛ إذ علمت أن الخليفة يبنتي بها قصرًا لابنتي، فلما نظرت في البحر زعمت أنه يبلغها صوتي، فناديتها، ثم ناديتها، وإذ ردد البحر صوتي ولم تُجب، عاودني الجنون، فهمت مرةً أخرى حتى بلغت هذا المكان، ولكني في رشدي يا أبا علي لولا تهدم جسماني.

أبو علي: هوّن عليك، هوّن عليك، إني سأريك ابنتك.

أسامة: بل أريد أن أعود بها إلى الصحراء، أظن لها خيمتي كما كانت، وأقعد بها ابنتي كما كانت، ثم أرفها إلى ابن أخي حسين.

أبو علي: سأعينك على هذا، ولكن خبرني أين ابن مياح اليوم؟ لقد خبرت أنه مات قتيلاً.

أسامة: كلا، كلا، لا قدر الله، إنه كان ملقى على الأرض صريعًا لا قتيلاً.

أبو علي: وأين هو الآن؟

أسامة: لا أدري.

أبو علي: ألم تسمع عنه شيئاً؟

أسامة: قيل إنه ذهب إلى الشام.

أبو علي: لماذا؟

أسامة: لا أدري.

أبو علي: أأكون قد ذهب إلى حلب؟

أسامة: هكذا خبروني.

أبو علي: أأرأى لقاء شيخ الجبل.

أسامة: لم أخبرني بذلك أحد ... بل أجل، هكذا قال لأخته ناعسة.

أبو علي: إذن فهو الذي عاد اليوم من حلب — وعنه ورد لي الخطاب — لا شك في ذلك، لقد حان أن أنتقم لأبي، وأعيد الملك في بيت أمير الجيوش.

أسامة: ماذا تعني؟

أبو علي: لا يعنك هذا، سترد إليك ابنتك عما قريب، ولكنك لن تراها حتى ترى ابن أخيك أولاً.

أسامة: بل أراها بحق الله عليك، أين ابن مياح اليوم؟ لعله لا يأتي أبداً.

أبو علي: بل إنه بمصر.

أسامة: ولكنك لم تخبرني، لماذا أنتظر حتى يعود ابن مياح؟

أبو علي: لأنه معه مفتاح ذلك، إن شيخ الجبل زعيم الإسماعيلية ناظم على الخليفة؛ لأن أباه قتل سيدهم الأكبر نزاراً عمه الأكبر، وأنا اليوم على رأيهم.

أسامة: أنت أيضاً يا ابن الأفضل؟

أبو علي: أنا قبل كل إنسان.

أسامة: أتريد قتل أمير المؤمنين؟

أبو علي: هذا ما إليه أقصد إن وفقني الله لذلك.

أسامة: إذن، فأليك عني أيها الخائن. تقتل أمير المؤمنين، تقتل خليفة رسول رب العالمين، إليك!

أبو علي: ويحك يا أسامة! ماذا أصابك؟

أسامة: تقتل ابن فاطمة الزهراء بنت خير من أقلت الأرض، وأظلت السماء؟!!

أبو علي (لنفسه): أتري الرجل عاودته جنته، لعنة الله عليه ... (لأسامة)، وابنتك أترضى لخليفة رسول الله أن يستبيح عرضها؟

أسامة: من هذا؟

أبو علي: خليفة رسول الله.

أسامة: يستبيح عرضها؟!

أبو علي: أجل.

أسامة: ويحك! أيستباح عرضي وأنا حي؟!

أبو علي: ما هذا؟ أرى الرجل قد جن.

أسامة: ما جن إلا أنت!

أبو علي: ولكن أميمة ابنتك، ابنتك التي كانت كزهرة الروض يانعةً نضرة. تشرق على الدنيا كأنها الشعري يا أسامة، أنسيت أميمة؟ أنسيت الذي أخذها من بيتك عنوةً، وكانت بين ذراعيك وذراعي زوجها الذي أحبك. آه! يا لمروءة العرب! يا لشرف الآباء! مسكينة أنت يا أميمة!

أسامة (بيكي): ابنتي ابنتي!

أبو علي: لا تبك، لا تبك، لماذا تبكي؟! دع البكاء لابنتك وحدها، أنت تريد أن تكون صهرًا للخليفة، وهي تأتي إلا أن تحفظ عفافها عن العرب، سأخبرها بذلك عسى أن يقطع اليأس سيل دمعها، وتستسلم لقضاء الله.

أسامة: لا، لا، لا تخبرها بالله، ابنتي أميمة، أرنيتها.

أبو علي: لن تراها.

أسامة: أرنيتها بحقي عليك.

أبو علي: وإذا لقيك الخليفة؟

أسامة: أقتله بيدي! بيدي، وأنتقم.

أبو علي: ولكنك أنكرت مني ذلك الآن!

أسامة: أنا؟!

أبو علي: أجل، أنت!

أسامة: لا، ورب الكعبة لا ... أجننت أنا حتى أنكرك عليك هذا.

أبو علي: إذن، فتعال نرتقب الفرصة كما خبرتك، إنك إن تبدُّ لها الآن تنبه الخليفة، فقطعت السبيل

على ابن أخيك، أنت رجل شيخ فاتر الذراع متهدم كما قلت، فاعتمد علي، اعتمد علي، وتوكل على الله في تدبير الأمور.

أسامة: أنا فاتر الذراع؟! أنا فاتر الذراع؟! (يعدل قامته، ولكنه لا يستقيم تمام الاستقامة) آه! لن تقتر لعربي ذراع، وفي صدره نفس يتردد ... ويحك يا أبا علي، هذا ذراعي إذن فترّب ذراعي (يجرد من تحت برنسه سيفاً كان يخفيه).

أبو علي: أغمّد، أغمّد، وتستر! ليس هذا أوان تجريده.

أسامة (يغمد السيف): صدقت!

أبو علي: تعالّ معي إلى داري، هلم! إنك فاضحي إن بقيت.

أسامة: لا بأس بالانتظار حتى حين.

أبو علي: هلم (لنفسه) ليس هو المجنون بل أنا، هلم (يتقدمه).

أسامة:

ابنتي ابنتي رويدك إني أتقى أثار من ظلموك  
كفكفي الدمع إن دمعتك غالٍ لا تذليله أو يموت أبوك

(يخرج من اليمين، وراء أبي علي، وعند ذلك يسمع لغط قوم يدنون من جهة اليسار كأنهم آتون من مصر الفسطاط، يعزفون، ويطلبون، ويرقصون، ويغنون، وكأن بينهم جارية يرد عليها الجماعة، ثم يدخلون فتراهم في ملابس زاهية على وجوههم لمعة البشر والسرور؛ لأنهم في عيد هو عيد النيروز، وبينهم فتى في الثانية والعشرين من عمره قد تلثم وتحنك، وعلى رأسه شال عمامة نقشت فيه صورة كبش باللون الأحمر، أما ما كانوا يغنون فهو.)

المغنية:

زهر الربيع مثل الأقماز ملا علينا الروض أنواز  
هات الكؤوس هات الأوتار نشرب ونطرب ونغني

(ويرقصون على هذا النغم، ويردده المغنون وراء الجارية المغنية، ثم تتبري المغنية تغني البيتين الآتين.)

المغنية:

عيد البلاد عيد النيروزُ      والله ما نبيعه بكنوزُ<sup>٢</sup>  
هاتِ الخوابي هاتِ الكنوزُ      نملا ونشرب ونغني

ويردد المغنون البيتين الأوليين، زهر الربيع ... إلخ. تنبيري المغنية وحدها تغني البيتين الآتيين.  
المغنية:

عيدنا جمع آسيا وموسى      وأحمد ودميانة وعيسى  
امتى نبطل دي الهوسه      علشان ما نطرب ونغني؟<sup>٣</sup>

يردد المغنون البيتين الأوليين: زهر الربيع ...  
المغنية:

قولو معي يا اهل بلدنا      الله يخلي اللي جمعنا  
ويفرق اللي فرقنا      علشان ما نفرح ونغني

(ويردد المغنون زهر الربيع ... إلخ، ويشربون جميعًا، ويعودون إلى الرقص.)

مياح (يرقص مع الجمع، ولكنه لا يشرب، ثم تراه يقف من أن لآن ينظر إلى النافذة ثم يتأوه  
ويقول): آه! آه! آه! هنا، أميم هنا، أميم آه.

المغنية: ما بال أمير النيروز يتأوه؟

مياح: طربًا لصوتك يا مليحة، هلم (يعود الرقص، فإذا اشتغل الجمع بالرقص عاد إلى الجدار وأخذ  
يتأوه) أميم! أميم! آه!

المغنية (بعد أن تكون قد غنت الدور الرابع والراقصون رقصوا): كأني بهذ الأمير قد أنهكه  
الرقص ...

مياح (يتتبه): غني يا مليحة، غني البيتين اللذين حفظتك إياهما في الخان.

المغنية: حبًا وكرامةً، هلم يا بنات!

(هنا تفتح نافذة القصر، وتظهر فيها البدوية، ووراءها ريطرة، وتأخذ البدوية تستمع للغناء  
والرقص):



نعمة الحب يا حبيب فؤادي متعة من نعيم جنة عدن  
فاحفظ الحب بالوفاء لتحظى بنعيم الفردوس في المنزلين

البدوية: كأني أسمع شعري يا ريطة!

مياح (لما رآها قد فتحت النافذة وقف مضطربًا بجوار القصر تحت النافذة تقريبًا، ويتقدم ويتأوه وهو قابض على يسار صدره بيده): أه! أه!

أحد الجمع: دعونا من هذا النشيد يا رفاق، إنا نحن أهل مصر، ولنا الحق في تسيير أغاني العيد على هوانا، لا على هوى فتى غريب عنا وعن بلادنا، هلم يا فاطمة أعيدي ما قلت أولًا أو فزيدي، هلم! (يرقصون سكوتًا، ويشغلون بالرقص مدة كلام البدوية) ...

البدوية: فتى غريب! أكون ابن مياح بينهم؟! وويلاه! أين مني اليوم حسين؟ وأين أبي؟ هل ترد القبور ودائعها؟! واحسرة النفس عليهما! واشقائي، وحرقتي، وعذابي!

أحد الجمع (الذي هو المتكلم سابقًا): لماذا لا تغني يا فاطمة؟

غيره: إنها لا تريد أن تنقض رأي الجماعة.

أحد الجماعة: كيف ذلك؟

غيره: إننا ارتضينا هذا الفتى الغريب أميرًا لنيروزنا، ومن العيب أن ننقض ما اتفقنا عليه.

أحد الجماعة: هذا صحيح، ولكن البيتين لا يناسبان المقام.

مياح (بصوت متألم): أي مقام غير هذا لهذا الشعر يا رفاق؟! أي مقام؟! فتشوا في خبايا القلوب، وانظروا من فيه، لعمرى لو نظرتم لوجدتم ...

أحد الجمع، وغيره: البدوية، البدوية.

الجماعة (على إثر ذلك): البدوية.

مياح: أجل! هي، هي (ويكون كلام ابن مياح بين كلام الثلاثة الأول، وكلام الجماعة، ويعطي صوته ولا يبالي، وإذا انتهى الجمع من النطق كان ابن مياح يتم قوله) هيه.

البدوية: صوته، والله! ولكن أين هو؟ إني لا أرى له شبحًا، وإن كان خياله يتردد أمام ناظري.

ريطة: تريثي يا مولاتي، لا يليق بك أن تفضحي أمرك في الناس.

أحد الجمع: غني يا فاطمة، غني مدح البدوية الذي أعددت عساها تنتظر إلينا، إن هذا اليوم لا

يُعوّض، إنه يوم يعيد فيه أهل مصر جميعًا، وقد أسقطوا كل شيء إلا الأخوة.

غيره: الدين للديان إن كان هناك ديّان! ها! ها!

الجميع: ها ها ها.

أحد الجمع: زد على ذلك أن الخليفة لا يأذن لأحد من رعاياه بدخول حديقة الروضة إلا في عيد النيروز هذا، غني يا فاطمة.

المغنية: حبًا وكرامةً:

يا أُصَيْحَابِي تعالوا وانظروا    مطلع البدر وحيوه معي  
إن بدر الليل عنا غائب    خجلًا ممن بدت في المربع

(يرقصون، والبدوية تنظر، وابن مياح مضطرب يروح ويجيء لا يدري ماذا يفعل.)

البدوية: شكرًا لكم يا رفاق، شكرًا، متعمك الله بطيب الحياة، وحماكم لوعة الفراق.

ريطة: سيدتي! ما هكذا يكون الدعاء، ما خطبك؟!

البدوية: ادنوا مني يا رفاق، خذوا هذا، وانصرفوا على بركة الله (تنثر عليهم نقودًا) ادعوا الله يستجب دعائي، عسى أن يتولاني برحمته، إن صوت الجماعة مجاب.

الجماعة: آمين! آمين! (يقدم كل منهم منديله ينشره بين يديه وفمه ليتناول النقود في سقوطها).

البدوية (باضطراب وشك): من هذا المثلث؟ لماذا لا يدنو؟ حادثيه يا ريطة، (لا تنتظر) ادنُ منا أيها الفتى! ادنُ منا! هاتِ منديلك يا أخي.

مياح: لا حاجة بي إلى المال يا سيدتي.

ريطة: ولكن الأميرة تريد ذلك (تنظر فيه وتتمعن).

مياح: الأميرة!

ريطة: أتأبى كرامة الأميرة، أم تريد أن تغضبها؟ (لنفسها) هذي صورة الكباش في طيات عمامته.

مياح: آه ... (يمد صوته في آه، وعند ذلك تكون ريطة تتطرق بأخر جملتها السابقة) أغضبها (تغرورق عيناه بالدموع) أغضبها! ما عشت لأغضب أميمة.

البدوية (في أثناء ذلك تطل من النافذة): آه، من هذا؟ أكاد أراه، أعاد حسين إلى الدنيا؟ إنني أرى به شبح ابن عمي.

ريطة: عليّ بأمر النيروز (لا تنتظر دعوة ريطة)، هات مندليك يا أخي (تنتظر إليه بإمعان وحدة).  
مياح: مندلي، ها هو ذا (يخرجه من جيبه، وقد تضرج بالدماء قليلاً، دماء جرحه القديم، وينشره بيده اليمنى على ذراعه اليسرى، بمعنى أنه ينشره، ثم يتلقاه على ذراعه اليسرى حتى يصبح صفحة واحدة، وإذ تنتظر إليه البدوية تأخذ تتمعن فيه).

البدوية: ماذا على المنديل أيها الأمير؟

مياح: اقرأي يا سيدتي.

البدوية: نعمة الحب يا حبيب فؤادي ... (تمسك عن القراءة فجأة، وتتأوه) آه! آه!

ريطة (بسرعة): غني يا مليحة، وارقصوا يا رفاق، هلم هلم! (ابن مياح يطوي منديله على الفور، وتأخذ فاطمة في الغناء والجميع في الرقص).

البدوية: حسين! حسين!

ريطة: انصرفوا راقصين مغنيين.

(يغنون ويرقصون من باطن المسرح إلى خارجه حتى يخلو المسرح إلا من حسين؛ إذ يتأخر عنهم ... ولا يبطل الغناء ولا الرقص بمجرد خروجهم من المسرح، بل يظلون عليه مدة حتى يدخلوا غرفهم، وعندئذ لا يسكتون دفعة واحدة؛ لأن انقطاع الصوت والحركة مرة واحدة يحدث في التمثيل فراغاً مكروهاً).

البدوية: حسين! حسين! أنت هنا يا ابن عمي! أفي الأحياء؟! يا رحمة الله ...

حسين (يصعد الأحجار التي تحت النافذة مضطرباً، ويكاد يبكي): أميم. أميم. أنت التي تحدثين أم أن ذاك صدى طيفك في فؤادي الكليم؟!

البدوية: بل أنا بل عروسك يا حسين، أنقذني أنقذني خذني إليك، أألقي إليك بنفسي أيها الحبيب؟

مياح: أجل، هأنذا، ألقِ بنفسك ولا تبالي.

ريطة: ما هذا يا بني؟ ألا تخشى أن تسقط من يديك على الصخر؟

مياح: ويلاه!

البدوية: ساعديني أيتها الأم البارة، ساعديني وبري بقسمك، لقد فتح الله باب الفرج فأفسحيه لي بيديك.

ريطة: ليس هذا أوان الهرب، والطرقات غاصة بالناس، اصبري حتى يأذن الله.

مياح: لقد نفذ صبري، نفذ صبري كما نفذ دمعي وزفير صدري، لقد نفذ مني كل شيء فلم يعد بي إلا الملح والأنين، أعيني على اللقاء حبيبين قطع الدهر أوصالهما، وعروسين منع القدر وصالهما.

البدوية: هل من سبيل إليه يا ريطة؟

ريطة: كيف السبيل يا ابنتي؟! تدبري وانتظري ليلتين (إلى ابن مياح) يا ذا الفقار!

مياح (بدهشة): يا ذا الفقار أتعرفني!

ريطة: اذهب من فورك إلى أبي علي بن الأفضل.

البدوية: من هو هذا؟ شريك المحرم.

ريطة: لا يعنك هذا، إنه أصدق أصدقائك.

مياح: أهو كذلك يا أميمة، (لريطة) أين داره اليوم يا خالتاه؟

ريطة: عند باب زويلة، اذهب إليه من فورك واتكل على الله، اذهب قبل أن يعود الخليفة.

البدوية: لا تفارقني يا ابن عمي! لا تفارقني!

ريطة: أه! لعمرى لتعملين على أن يقع ابن عمك في يد صاحب النعمة، ثم ترينه مسفوك الدم قتيلاً.

البدوية: صاحب النعمة! ويلاه. اذهب يا حسين، اذهب يا أخي، لا تعرض نفسك للأذى من أجلي (هنا يسمع صوت المغنية عن بُعد، أي من داخل غرف الممثلين، ثم تتقدم على مهل حتى تدخل المسرح في الموكب، فينزل ابن مياح منقهقاً عن الصخر).

مياح: وداعاً (يعلي صوته)، وداعاً يا أميمة. أميمة (ينضم إلى الموكب).

البدوية: حسين! حسين! (تختفي، وتقفل ريطة النافذة).

(وصوت البدوية في حسين مسموع، كل ذلك قبل رجوع الموكب، ويكون انضمام حسين إليه ساعة دخول الراقصين.)

أحد الجمع: أين أنت يا أمير النيروز؟

مياح: هأنذا.

(على أحد الجمع أن يسأل سؤاله قرب انتهاء المغنية من الدور، فإذا نطق به ولم تكن قد أوشكت أن تنتهي، فليُعيد مرة ثانية، وعلى ابن مياح أن يكون جوابه قبل انتهاء المغنية أيضاً، ولا يهمه سمع الجمهور أم لم يسمع، الغرض أولاً سَبْك الحالة وجعلها طبيعية؛ لأن مثل هذه المواقف لا تكون

مرتبة كحفلات الكنائس، وإذا انتهت المغنية نظر ابن مياح إلى النافذة، وتأوه من نفس نغم المغنية وعلى ضربه مع الترقى، ويجب أن يتعلم هذه الآهات عن معلم موسيقي) آه، آه، آه (يخرج مع الجميع).

## الستار

---

<sup>١</sup> كان أبو علي هذا — ويُدعى قطيفة — يؤمن بإمام منتظر، ولما قضي الأمر ضرب السكة باسم «الإمام المنتظر».

<sup>٢</sup> فكرت الحكومة في جعل عيد وفاء النيل يوم النيروز ليُحتفل بالعيدين في وقت معًا، وحبذا لو جعلتهما في يومين متعاقبين ...

<sup>٣</sup> قد أبطنا هذه الهوسة منذ سنة ١٩١٩، والحمد لله!

## الفصل الثالث

(يكشف الستار عن غرفة فسيحة في قصر الهودج، وهي منقسمة قسمين: القسم الأعلى منها رواق يفصله عن الأدنى — الردهة (أي مقدم المرسح) جدار عليه أعمدة متواصلة بعقود من البناء العربي، في وسطها باب عليه ستار عظيم، وفي وسطي الجدارين الأيمن والأيسر من الردهة عقدان من البناء، بعد كلٍّ منها قبة تحتها باب، وهذان مدخلان لغرف بعيدة من القصر، والمكان مفروش بالبسط، وعلى جانبي العقدين أبواب غرف، ويُرَى في الردهة مقعد ثمين، أمامه من اليسار طراحات، وفيه أدوات زينة عربية، وغير ذلك.)

(يدخل الخليفة من باب الوسط، وهو في حالة تهيج، ويذهب إلى باب مسكن البدوية، أي العقد الأيسر، ونسميه بالثاني فيما يلي من الكلام، وهو مُرْتَد ملابس حمراء عليها دراعة بيضاء، وينادي.)

الخليفة: ربطة! (يعود نحو المقعد يمينًا) لعمرى قد نفذ صبري، إن هذه البدوية القذرة لا تهابني، أنا صلوك عربي حتى لا تسمع أمري ولا تطيع، ويل لها الليلة مني إذا أنا لم أبلغ مرامي منها، مضى دهر طويل وأنا صابر عليها صبر المحب لدلال المحبوب، عسى أن ترشد وتعلم أنني أنا الخليفة الذي لا مرد لقضائه، ولا دافع لقدرته، وهي لا تزدد إلا نفورًا مني، تؤثر علي عبدًا من أرخص عبيد بلادي، عربيًا قذرًا يرضع النوق، ويأكل الشعير، ويشرب آسن الماء، تؤثر عشرته في ظل خيش مصفق على مجاورة أمير المؤمنين في هذا القصر الموطد المنيف! يا الله من عنت النساء (يجلس على المقعد، وتدخل ربطة فتسلم سلام الجواري) ما وراءك يا ربطة؟ لعمرى لقد كان يوم الشؤم يوم جننتي فيه بخبر هذه البدوية.

ربطة: عفوك يا مولاي، ما كنت أحسبها خرقاء كما رأيت.

الخليفة: إذا كانت خرقاء فإن في القاهرة بيمارستانًا لأمثالها! أين هي الآن؟

ربطة: في مخدعها يا مولاي.

الخليفة: علي بها.

ربطة: سمعًا يا مولاي (تهم بالذهاب).

الخليفة: قفي! (تقف) ألم تخبريها أنني لم أعد أحتمل منها هذا الإباء ...

ريطة: لقد والله نصحتها، وأبنت لها أنها عمياء عن الخير الذي بين يديها، فلم تنتصح، فذكرت لها أنك أهدرت دمها إذا هي لم تدعن لمشيئتك.

الخليفة: فماذا أجابت؟

ريطة: أجابت أنها ترحب بالموت الذي يحفظ عليها عفتها.

الخليفة: إني لا أريد أن أغلبها على عفتها ... أريدها لي زوجة!

ريطة: إنها ترى أن أباهما قد عقد لها على ابن عمها، فإذا تزوجت منك كانت فاسقة.

الخليفة: ولكن ابن عمها قد مات.

ريطة: لم تعد تصدق هذا الخبر يا مولاي.

الخليفة: كيف؟

ريطة: لا أدري، ولكنها تقول أنها رأته في المنام يحدثها بأنه حي لم يموت، وأنه لا بد أت إليها، وأوصاها بالصبر حتى يعود، وهي الآن في انتظاره.

الخليفة: إذن فلن تكون لي زوجة، ستكون جارية (ينهض) بل دُوِين الجارية، إذا أبت أن تكون عروس الشرع والسنة، فألحي بها سنة الأقدمين، ولأجعلنها في الغد عروسًا للنيل، علي بها.

ريطة: هذا خير ما تفعل يا مولاي، لعمرى لئن لم تأخذها بالشدة لظننتك اليوم دون ما كنت بالأمس فاسترسلت في إبائها واستحال عليك نيل المراد، هأنذا ذاهبة فأرني كيف تصنع (تخرج يسارًا).

الخليفة (يروح ويجيء في الردهة): ليس هذا تدللاً بل مقتناً واحتقاراً وازدراء بتاجي وباسمي، صدقت تلك التورية لم تزدي هوداتي إلا ضعفًا ولم تزدها إلا تشددًا، سأريها اليوم مري كما أريتها حلوي، ووالله لتكونن ...

ريطة (تدخل): هذي هي يا مولاي.

(تدخل البدوية، وفي مشيتها خطوة الكبر وقلة الاكتراث، ثم تقف بالقرب من باب العقد الثاني.)

الخليفة (يجلس): إلي أيتها الفاجرة.

البدوية (تذعر): فاجرة!

الخليفة: تقدمي (تتقدم) الليلة فصل الخطاب بيني وبينك، لقد أمهلتك إلي دهرًا طويلًا لكي لا يكون علي حرج أن تكوني لي زوجة، فما زدت إلا نفورًا مني وتعلقًا بخيال صعلوك، حتى حسبتي دون هذا الصعلوك مقامًا.

ريطة: حاسنيه وإلا قُتلت، قبل أن يأتيك ابن عمك (تخرج).

الخليفة: أجيبني، أنت ترين هذا الصعلوك خيرًا مني؟

البدوية: لن يكون الصعلوك إلا صعلوقًا، ولا الخليفة إلا سيّدًا.

الخليفة: فلماذا آثرت هذا الصعلوك علي؟

البدوية: لم أوثره عليك يا مولاي، وإنما آثرت نفسي؛ فطرة الله التي خلق الناس عليها، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

الخليفة: لم يستبن لي مرادك.

البدوية: أنت تعلم يا مولاي أن الإنسان يستمد سعادته في هذه الدنيا مما اعتاد، كالطفل يعتاد الثدي الذي يرضعه، فلا يؤثر عليه شيئًا من طيبات الدنيا؛ ولذلك تراه إذا فُطم يحزن لذلك ويأسى، ويملاً الدنيا صياحًا ويأسًا. للإنسان من أهله وصحبه ووطنه ودأبه وعرفه وأدبه عهدٌ متصل بدمه، عالق بنفسه ساكن في قلبه. قصة عزيزة عليه، هي قصة طفولته، ولذة صباه، وعزاه في كهولته، بل هي حياته كلها. فإذا أنت أرغمته على ترك هذا ونسيان ذلك، وقطعت ما بين ماضيه وحاضره، فقد مات يا مولاي موتة قلب وروح وفؤاد.

الخليفة: لم يفتني ذلك يوم غلب علي هواك فأخذتك إلى قصرني، ولكنني اعتمدت على الزمن في تسكين ثائرة نفسك، وتركتك اليوم عامًا أو يزيد؛ لتستعيزي عهدًا بعهد، وأرضًا بأرض، وقومًا بقوم.

البدوية: ولكن أي عهد هذا الذي اعتضته؟ عهد أقضيه في حسرة، ولوعة، وبكاء! وأي قوم رأيت لا أم لي فيهم، ولا أب، ولا أخت، ولا صديقة؟! لم يكن لي فيه يا مولاي إلا الذكرى والحنين والحسرة؛ لأن انقطاع تلك المعاهد عني قطع عني صلة نفسي بالماضي، تلك الصلة التي يحسبها الإنسان ضمانة خلوده في الدنيا، أفتتكر علي أن أظل في شقاء كل يوم، وأرجو لو أنني عشت في خيشي بين الكاسر والضاري، وخشنة عيش أوثره على ما تجده أنت يا مولاي في هذا القصر من نعيم؟ فأنت ترى يا مولاي أنني لم أوثر عليك صعلوكًا أو ملكًا، بل آثرت نفسي بالرغم مني، وتلك فطرة الله.

الخليفة: أنكروه؛ إن فطرة الله هذي في نفسي أيضًا، كما في نفسك.

البدوية: إذن فأنت لا تحبني يا مولاي.

الخليفة: بل أحبك حبًا أليماً مبرحًا.



البدوية: لن يرضى المحب شقاء المحبوب، إنه ليفديه بما يحب مما يكره، ويؤثر نعماه على نعماه.  
الخليفة: أفإن كان الحبيب مخطئاً وجب على المحب أن يرضى له الإغراق في خطأه.

البدوية: كيف؟

الخليفة: إنك ترجين أن تعودى إلى الصحراء، تؤثرين شظف العيش على الرخاء، والمحب الذي يرضى للحبيب نعماه، لا يطاوعه قلبه فيرضى له هذا. ألا ترين أن الأب قد يمنع ابنه شيئاً يشتهيهِ ويلح في طلبه، رعيًا لخالص مصلحته، لا بخلاً منه ولا كراهة؟!!

البدوية: بلى يا مولاي، ولكنى لست طفلة، وقد كان فيما ذكرت بيان. بيد أن خطأي يا مولاي في دمي، ولن يستطيع الدهر محوه حتى يمحوني.

الخليفة: إليّ أيتها البدوية، تعالي أصارك، أريك حقيقة هذه الدنيا ما دمت قد صارحتني، ولم تؤخذي بعرف ولا بهيبة المُلْك الذي أنا فيه، ولم يرُعك ما في نبرة صوتي من قوة القضاء، تعالي ولا تفرعي.

البدوية: سألتك بالله إلا ما أقلتني سماع ما تريد.

الخليفة: أوتعرفين ما أريد؟

البدوية: كأني لا أجهله يا مولاي؟!!

الخليفة: إذن فقد كان احتجاجك غشاً لي وخداعاً.

البدوية: معاذ الله أن أخادع يا مولاي! إنما قلت ما أعتقد وما أشتي أن تكون عليه الدنيا، ولكنك تريد الآن أن تخبرني بحقيقة أخرى، وما أمرها حقيقة؟!!

الخليفة: أتعرفين أن المحب الذي يذوب غراماً بمن يحب إنما يحب نفسه؟ يرى منه مشتهاه فيلح في طلبه؟

البدوية: أجل يا مولاي.

الخليفة: وتعرفين أن إثارة المحبوب على نفسه أو صيره لدلاله وهجره وبكائه لذله، إنما هو خطة احتيال يلجأ إليها يستعطفه بها حتى يحنو عليه فينال المحب قصده بذلك؟

البدوية: أرى ذلك اليوم حقاً.

الخليفة: وتعلمين أن افتدائه بروحه إنما هو افتداء لقصده منه من حيث لا يدري؟

البدوية: الظاهر كذلك يا مولاي.

الخليفة: وتعلمين أن الناس تسعى في هذه الدنيا وتتجادل، وتتقاتل من أجل ما ترى فيه القصد، وإنهم يحتالون لذلك من كل طريق على اختلاف درجات اقتناعهم بصواب الخطط الموضوعية والمشروعة؛ لكي يفوزوا بالمأرب الأخير من هذه الدنيا؟

البدوية: أرى كل ذلك يا مولاي.

الخليفة: وتعرفين أيضًا أننا نحن الملوك نفيد الناس بالشرائع لكي يكف الناس عن الأذى والازدحام في طريقنا، ثم نكون فوق هذه الشرائع؟!

البدوية: هذا هو المشاهد يا مولاي.

الخليفة: وترين أنني أنا الأمر بأحكام الله في هذه الدنيا، وأريدك لنفسك إرادة العطش المستعر إلى الماء، ثم تؤملين الفكاك مني؟!

البدوية: حتى وإن كنت خليفة الرسول، وابن فاطمة البتول؟

الخليفة: حتى إن كنت كذلك.

البدوية: تريد أن تغلبني على نفسي بالرغم مني يا مولاي؟

الخليفة: هو كذلك، ولا مرد لما أريد.

البدوية: أنت وما ترى يا مولاي.

الخليفة: إذن فاسمعي، ستكونين الليلة أنيسة خلوتي، أعدي فؤادك لقبول هذا الإثم إن رأيته إثمًا.

البدوية: سيكون لك ما تشتهي يا مولاي! تغلبني على جسماني هذا (تشير إلى صدرها وتدييها وعظفيها)، أما فؤادي (هنا يعلو صوت الممثلة شيئًا فشيئًا لآخر الجملة)، وروحي. أما نفسي يا أمير المؤمنين فلن تغلبها على أمرها، ستقر منك يا مولاي إلى مولاك، تفر من الذلة والصغار، تبتغي دارها بين البررة الأطهار؛ فإذا دنوت مني تحسب أنك تجد تلك الفتاة البدوية الحرة، لم تجد إلا جثة هامة، وترائب باردة، سلام عليك (تخرج من الباب الأيسر الأدنى، وتظهر ربيعة تحت العقد الثاني الأيسر).

الخليفة: ما أشد غضبي وألمي! لعمرى لقد أوشكت النفس أن تخلع منهاها، وتهم بالانتقام.

ربيطة (تتقدم): هوّن عليك يا مولاي!

الخليفة (بانتفت): أسمعت مقال تلك الفاجرة؟

ربيطة: لم يفتني أن أقف على دخيلة نفسها في كل حين يا مولاي.

الخليفة: وما رأيك في عنادها؟

ريطة: لا يهكم هذا يا مولاي، كل العذارى هكذا، تظل إحداهن على عهد من تحب حتى تتزوج آخر، فإن لم تنس الأول فإنها لا تأبى الثاني.

الخليفة: وأنت ترين أن أدخل الليلة بها؟

ريطة: ولا تردد.

الخليفة: ولكن الرجل لا يحب من شريكته إلا أن تكون كما يكون، فإذا أنا أقدمت الليلة على ذلك لم يكن لي منه إلا الألم.

ريطة: سينسيك اغتباطك بها بعض هذا الألم فلا تتردد، إنه دواء لك ولها.

الخليفة: إذن فأعدي الليلة شرابًا وطعامًا، واجعلي القصر زينةً للعالم، ومجلى للحبور، حتى أعود من القصرين.

ريطة: لم يفتني ذلك يا مولاي، فلقد أرسلت إلى مدينة الفسطاط في طلب المغنيات والراقصات من فوري اغتباطًا بهذه الليلة، سترى يا مولاي أنني ما خبرتك إلا الحق، لقد رأيتها يا مولاي كما ولدتها أمها، فوالله ما وقعت عيني على أجمل منها.

الخليفة (ينهض): سنرى، سنرى، ونرى في جزائك في الصباح يا ريطة (يتمشى صوب الباب الكبير الأوسط) إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر (يتمشى ويصل إلى الباب).

ريطة: خيرًا إن شاء الله (يخرج الخليفة، وتظل ريطة تنظر إلى حيث خرج، وهي مأخوذة حنقة) ستزف الليلة إلى العروس، ثم توارى في الغد جوف الرموس (هنا يدخل أبو علي مترددًا من بين أعمدة العقد الأول الأيمن كأنه كان يسترق السمع) من هذا؟! (بدهشة) أبو علي!

أبو علي (يؤخذ كأنما أصابه خوف): ريطة! أنت هنا؟! وافرحته!

ريطة: مرحبًا بأبي علي.

أبو علي: أين مولانا أمير المؤمنين؟

ريطة: ذهب توارًا إلى القصرين، ألم تصادفه في الطريق؟

أبو علي: جئت من باب السر الذي تعلمين، ومن العجب أنني لم أصادف في طريقي حيًّا؟

ريطة: كان بتلك الناحية جاريتان، ولكنني أسكنتهما الطريق الأسفل، وكلفتها بأمر الطعام، ولكن لماذا جئت من ذلك الباب؟

أبو علي: لقد كنت عازمت على أن أفاجئه الساعة، وجئت أتتحقق أمر وجوده بنفسي، ثم أردت أن أعرف أبا القصرين جند أم لا؛ حتى يكون مسعاي إذ ذاك مضمون النجاح.

ريطة: هب أنه كان بالدار أحد، فما كان جوابك؟

أبو علي: ليس لأحد من الجند أن يسألني في ذلك، وأنا من الخليفة من أنا.

ريطة: هب أنه لاقاك وجهًا لوجه، فما كنت تصنع؟

أبو علي: أترأه كان يستريبيني؟

ريطة: إنك تعلم أنه يستريبك، وإلا فما جئت من باب السر الخفي.

أبو علي: لقد حسبت أنه لا يكون إلا مع البدوية.

ريطة: أنتم أيها الناس إذا عجزتم عن تدبير أمر كبير عليكم، أخذتم في سبيله تأتون أعمالاً مدهشة، وتدبرون تدابير خفية عنكم وعن الناس، تزعمونها رشادًا، حتى إذا اعترضتم فيها بأمر هين تورطتم، وانقلب عليكم سوء ما دبّرتم. إني أحمد الله على أنك لم ترَ سبيلًا إلى بلوغ قصدك، وإلا لتورطت وعرضت مشروعا للحبوط، دعنا من ذلك بالله، لقد كنت تتلف علي تدبيره كله، اسمع لقد أشرت عليه الليلة بدخوله بالبدوية قسرًا.

أبو علي: ويحك ريطة! كيف تغرينه بذلك وابن عمها في الأحياء!؟

ريطة: لم أجد لي من حيلة إلى دفع سوء ظنه بي وبصلاحيتي لمعاشرة البدوية، إلا أن أزين له ما كان ينوي.

أبو علي: والفتى؟

ريطة: لا يهمني هذا الفتى، كيف أستطيع أن أظفر بفريستي إذا أنا لم أحصرها في مكان ضيق تصل إليها فيه يدي؟ ألم تنفق معي على ذلك؟

أبو علي: بلى، ولكنني وعدت الفتى أن أصون له البدوية حتى ترد إليه.

ريطة: سيكون ذلك إن شاء الله.

أبو علي: أخبرك متى يعود من مجلس الليل؟

ريطة: لعله لا يغيب طويلًا.

أبو علي: إذن فقد صح تدبيره، ولكن الذي يهمني الآن يا ريطة أن لا يسمع بقصتنا بعد انتهائها أحد، إني لا أريد أن أجعل منها حجة علينا لأنصاره.

ريطة: لم يفتني ذلك، إني سألقيه إليكم لتضعوه يومئذ حيث تضعون، وليتقول الناس في شأنه ما يشاءون.

أبو علي: هذا غاية المنى، والآن أسر إليك يا ريطة نبأ يطر له قلبك فرحًا.

ريطة: عن ولدي؟

أبو علي: عن ولدك.

ريطة: أجاى ولدي؟

أبو علي: أجل.

ريطة: كيف؟

أبو علي: ذهبت إلى منزلي فوجدته في فراشي!

ريطة: رباه ما لي بشكرك طاقة، أتراني أستطيع أن أراه؟!

أبو علي: أه! أخذ الدليل يضل ... فارقك الصواب يا أمامة.

ريطة: صدقت صدقت، سأراه عما قريب، عجل الآن، هات فتياك، أخبرتهم؟

أبو علي: كيف لا؟! أحدهم ابن مياح نفسه.

ريطة: والباقي؟

أبو علي: من رجال ولدك.

ريطة: أسامة فيهم؟

أبو علي: أسامة، لعنة الله عليه! تخليت عنه، وأوصيت ابنك أن يستبقه بجواره حتى نعود إليه.

ريطة: ولم هذا؟

أبو علي: لقد عاودته جنته الليلة وألح في أن يكون معنا، فوعده فاستحلفني فأقسمت، ولكني احتلت حتى خرجت بالرجال دون أن يراني، من ذا الذي يستصحب مجنونًا في عمل كهذا؟!

ريطة: أنصفت، ولكن الخليفة قد ذهب إلى القصرين، وأشفق أن يعود، ومعه فريق من رجال القصرين، فهل أخذت لذلك العدة؟

أبو علي: لم يفتني ذلك، فإن جنود ولدك تحت المظلة التي تشرف على النيل، فإذا بدا من رجاله عزم لإنقاذه انقض هؤلاء عليهم فعاقوا النجدة، وقضى رجالنا هنا مهمتهم.

ريطة: إنن فاذهب، وهات لي ابن مياح وآخر معه.

أبو علي: على الفور، سلام عليك (يخرج، ثم تدخل البدوية في حالة ذهول، وريطة تراقبها).

ريطة: مرحبًا يا بنتي مرحبًا، لماذا جئت؟

البدوية (في حالة حزن شديد): جئت أعد نفسي لحفلة عرسي كما أمر الخليفة بذلك.

ريطة: أي عرس هذا يا ابنتي؟

البدوية: خير ما تمننت النفس يا ريطه.

ريطة: ما تمنيت إلا ابن عمك يا أميمة.

البدوية: وهو الذي من أجله أعد نفسي، هلم هات الشموع، ثم هاتي ملابس أبي هاتي لباس البدوية، وخذي عني هذه الحرائر.

ريطة: ما هذا يا ابنتي؟

البدوية: ويحك! لماذا لا تطيعين؟

ريطة: وي ... ماذا أصابك؟

البدوية: ما أصابني شيء أيتها الخائنة، إنني بخير والحمد لله.

ريطة: ويحي! لقد أسلمت الفتاة زمام أمري إذ أفضيت إليها بسري، ما الحيلة؟ ما العمل؟ عرس ابن عمها، وأين ابن عمك الآن، ولن يأتي لك إلا الخليفة؟

البدوية: لن يدخل الخليفة إلا على ميت لا حس فيه ولا حراك، أجل إنني سأزف إليه يملأ عينه من حسني، ثم إذا دنا مني لم يدن إلا من طيف خيال، ووهم مجسم قد استحال، هلم هاتي ملابسني التي خرجت بها من ديار أبي، ملابسني التي عانقني فيها ابن عمي حتى أسبقه فيها إلى جنة رضوان.

ريطة: ولكن يا ابنتي ...

البدوية: ماذا؟

ريطة: لن يكون ذلك، إنني أحاذر غضب الخليفة، لقد أمرني أن أجلوك أبهى مجلى، فإذا أنا قصرت في ذلك استرابني، ولم أستطع يومئذ أن أكون في جوارك أعمل على البر بقسمي.

البدوية: أي قسم هذا؟ ما أسرع الناس إلى القسم! لقد أقسمت أن تتفذي من الرجل، وأقسمت أن تجمعني بيني وبين ابن عمي في ليلتين، ولا صدق هذا ولا ذاك.

ريطة: الأمور رهينة بأوقاتها يا أميمة.

البدوية: وما ينفعني الانتظار؟ وهذا سيدك قد أوشك أن يبغى علي.

ريطة: لن يبغى عليك يا أميمة، اطمئني.

البدوية: كيف أطمئن وأنا الليلة من القبر قيد ذراع؟

ريطة: بل أنت من السعد والحياة قيد شعرة.

البدوية: أحق ما تقولين؟ أم أنه وعدٌ لا يكلفك إلا الكذب.

ريطة: بل هو الصدق الذي ليس وراءه صدق، وأقسم على ذلك.

البدوية: ولماذا لم تخبريني به من قبل؟

ريطة: ما زعمت أنه محقق إلا الساعة، جاعني أبو علي بعد أن ذهب ظالمك، وتم الاتفاق على الأمر، ولو لم تتعجلي لبلغتك البشري، ولكنك لم تدعي لي إلى الكلام سبيلًا.

البدوية: معذرةً يا ريطة معذرةً (تسعى إليها وتبكي على كتفها) معذرةً، قد يخرج اليأس بصاحبه إلى الجنون، فاعذريني اغفري لفتاة تنكر لها الرجاء، حُرمت أباهما وزوجها، وترى الشقاء بعينها، اغفري لي يا ريطة، وتحنني علي.

ريطة: لقد عفا عنك قلبي يا أميمة، أنا أعرف ما أنت فيه، ولكن يجب عليك أن تلبسي الآن أفخر ما أعددت لك من ملبوسي حتى لا يستريبي الخليفة.

البدوية: أيجيء ابن عمي الليلة؟

ريطة: أجل.

البدوية: أتريد أن يراني في ملابس خلعتها علي الخليفة؟

ريطة: كلا، ولكن ما الحيلة فيما نحتال إليه؟

البدوية: لقد عشقتني الخليفة في ملابس البدو، ولن يراك إن زففتني إليه فيها إلا محسنة.

ريطة: قد يكون ذلك، ولكنه أمرني بما ذكرتُ، فلا تتشبثي بأمر لا ضرر فيه.

البدوية (تفكر قليلاً وتسكت كمن جاءتة فكرة خاطرة): لا بأس لا بأس، هلم، ولكن خبريني كيف يأتي إلي ابن عمي (تجلس).

ريطة: لا يعنك هذا، هذا تدبير بيني وبين أبي علي، حسبك أن يأتي ابن مياح إليك يحملك بين

ذراعيه إلى خيمة أبيك في الصعيد.

البدوية: خيمة أبي! خيمة أبي! واحسرة النفس عليك يا أبي! واحسرتاه!

ريطة: لا داعي اليوم للحسرة يا أميمة، إن أباك حي لم يمت.

البدوية: حي لم يمت! (تنهض) لم يُقتل!

ريطة: بل إنه اليوم في القاهرة.

البدوية: في القاهرة!؟

ريطة: وفي بيت الأمير أبي علي نفسه.

البدوية: وافرحته! من لي برؤية أبي يا ريطة!؟

ريطة: سترينه الليلة يا أميمة، سترينه فلا تتعجلي.

البدوية: أقبلك يا ريطة، أقبلك (تقبلها) متى عرفت ذلك؟

ريطة: الليلة من أبي علي، وقد كان يريد أن يحضر مع الحاضرين، فأقاله أبو علي اكتفاءً بجنود ولدي.

البدوية: جنود ولدك؟ (تجلس).

ريطة: أجل، ألم يجئ ولدي؟

البدوية: جاء الأمير حسن؟

ريطة: أجل، ليلبس التاج في الغد.

البدوية: هنيئاً لك يا ريطة، اللهم أفرح قلبها بما أفرحتني!

ريطة: شكرًا لك يا أميمة شكرًا، هلم بنا نعد ظاهر أمرنا، وثقي بالله وبي.

البدوية (تنهض): أزل اللهم سحابة همي وآمن خوفي، اللهم إني أسلمت إليك أمري، أنت نعم المولى ونعم النصير.

ريطة: آمين! هلم (تتقدمها).

البدوية:

إني شربت كؤوس الصبر أجمعها وذقت مر هموم العيش ألوانًا



لم يبقَ في القلب ركن لم يلمَّ به ريب الزمان فأخشى هذه الآنَا

(تخرج هي وريطة ويدخل أبو علي يتبعه ابن مياح، وقد أزاح اللثام عن وجهه.)

أبو علي: إن هذا المكان رهيب يا ابن مياح، أخشى أن تأخذك هيبة الخلافة فتتكص على أعقابك.

مياح: لن يكون هذا المكان أرهب من ساحة الشيخ، ولا وجه الخاسر أهيب من وجه الأفعوان الذي أدخلوني عليه في السرداب، فقتلته بهذا السيف الذي باركه الشيخ المبارك.

أبو علي: صدقت، ولكني لا أكاد أرى وجه عذرك إن لا نعززك بجنيب.

مياح: لن يكون الرجل أجلد مني قلبًا، ولا أقوى نفسًا، جنئت أنشد عرضي، وأطلب ثأري، وأنشد من أحب، أنقذها من برائن فاسق كفور. بيد أي أفسمت للشيخ الذي أمدني بروحه، وباركني ببركته، أن أكون وحدي، وما يحنث العربي بيمين.

أبو علي: أنت وشأنك، ولكن اعلم أنني سأعد خمسمًا من رجالي عند الباب، فإذا لم تظفر بغريمك فإنني على مسمع الهمس منك (يذهب إلى باب غرفة ريطة) ريطة.

ريطة (من الداخل): لبيك.

أبو علي: هلم (إلى ابن مياح) ستأخذك الآن ريطة إلى مستقر حتى تدعوك، فإذا ظفرت بفريستك وألقيت الصيد إلينا تفتحت لك أبواب القصر، وإلا فهو موصد دونك حتى القبر.

مياح: على الله الاتكال.

ريطة (تدخل): سلام يا ابن مياح.

مياح: وعلى أم الأمير السلام.

أبو علي: أقسم ابن مياح لشيخنا المبارك أن يكون وحده في هذه المهمة، وما نطيق أن يحنث بيمينه، وسيتولى الأمر بنفسه، ولكننا لدى الباب، فخذيه إلى حيث يرتقب.

ريطة: لا بأس بذلك، هلم يا ابن مياح.

مياح: أستطيع أن أرى ابنة عمي؟

ريطة: لا تراها حتى تغمض عين الخاسر، إن المحب إذا التقى بمن يحب نسي الدنيا ومن فيها.

مياح: لكن بي ظمًا إليها يا خالة.

ريطة: أروه منها يوم أروي أنا ظمأي، هلم (تدخل به من باب الغرفة اليسرى).

أبو علي: لقد آن أن أنتقم منك يا قاتل أبي، وأنقع غلتي من دمك، ولكن لا بد لي من أن أتفقد ذلك الجناح لتطمئن النفس، من يدري ربيعة؟ لعل به جنذاً وحراساً، وهي لا تدري (يخرج من الباب الأوسط، ثم يدخل أسامة كما رأيناه في الفصل الثاني من تحت العقد الأيمن).

أسامة: ما هذا المكان يا ترى (يلتفت، ويذهب هنا وهناك، ويتسمع) ما للقصر خالٍ من الناس؟! أيقنون نياماً؟ كيف ذلك ونحن بعد العشاء بقليل؟! بيد أنني لا أسمع تهويماً ولا زفيراً، أم إنه لم يجعل في خدمة ابنتي أحداً من القصرين كما خبروني؟ ولكن أين ابنتي، وأين الخاسر؟ أتكون في هذا المكان (يتقدم نحو اليسار، ويستمع) أدخل أم أنني مجازف! لا تجمل المجازفة الآن؛ إنني من المقصود قاب قوسين أو أدنى، خطواتي اليوم ثمينة، فإذا أسرفت فيها أسرفت في حياة ابنتي، ويل لأبي علي لقد وعد أن يجعلني في زمرة ابن نزار، ثم هرب مني قبل صلاة العشاء، ولكنني عرفت السبيل، عرفت السلم الخفية التي كان يصف مكانها لابن نزار، هداني الله إليها، ثم فتح لي بابها ليهون علي أمري، ولكن ماذا أفعل؟ لن أخرج من هذا القصر إلا قاتلاً أو قتيلًا، أريد أن أنتقم، أريد ابنتي (يذهب صوت الأبواب) أتكون هنا (يتسمع) إنني لا أسمع في المكان صوتاً (يصغي بإمعان)، بل أسمع همساً، وجلبةً بعيدةً، ويل لأبي علي؛ هو الذي ألجأني إلى السير على غير هدى، ولكن خاب فأله سيكون المجنون أول ضارب، سأكون أول مننقم أخذ ثأري أولاً، ثم ليأخذوا الثأر بعدي (يسمع صوت عود بعيد جداً) هذا صوت عود يدنو (يلتفت صوت الباب)، واحسرتاه! هنا عزف وددن، وفي البادية نحيب وحزن، هنا بلبل يشدو، وهناك بوم يععب، يا الله إنهم يدنون، أين أختبئ حتى أرى وأتبين؟ أين أختبئ عن العيون؟ (يقرب الموكب بالعود والرق) أذهب هنا؟ (يسير إلى اليسار، ثم يعود) هنا (يدنو من الباب الأدنى الأيمن، ويفتح الباب قليلاً، ويتسمع) لا أحد (يدنو العزف، والدق ... إلخ) لقد دنوا فلأدخل والله الحارس.

(يلتفت وراءه، ثم يدخل، ويدخل الموكب وفيه البدوية في الوسط، وقد تردت بملابس زاهية، ووراءها المغنيات، والعودات، والرقاقات، وتتقدمها الرقاصات صفتين: صف يسير إلى اليمين، و صف إلى اليسار، واحدة بعد أخرى، وتسير البدوية، ومعها ربيعة حتى تصل إلى المقعد، فتقف ربيعة إلى يمينها، ثم يأخذ صف الرقاصات الأيسر في الرقص بلا انتظار، وكلما خرجت منه واحدة خرجت أمامها واحدة من الصف الأيمن، ويجلس المغنيات والعودات في المنتصف، ودارت الرقاصات حولهن، والبدوية في أثناء ذلك تنتظر غائبة الفكر، وقد تمسح عينها مرة أو مرتين أثناء الرقص، وتتأوه مرة أو اثنتين، وهي في أثناء ذلك كله حزينة باكية الحزن بلطف، فإذا انتهى دور الرقص دخل الخليفة فنهضت المغنيات، وركعن تحية، ونهضت البدوية، أما أدوار الغناء فهي كالآتي):

يا غصين البان شف قده العالي

ميلك في البستان ما عاد يحلالي

\* \* \*

محبوبي نشوان من مدام ثغره  
وقميصه ولهان بنهوده وخصره

\* \* \*

يا فؤادي حاسب على روحك، واحذر  
م العين والحاجب والخذ الأحمر

\* \* \*

إن تكن مفتون ومرادك تشفى

كل شيء يهون لما العين تغفى<sup>1</sup>

الخليفة: عمي مساء يا أميمة.

البدوية (تتكس رأسها): عمّ مساء يا مولاي.

الخليفة: ألا تزالين على عهدك يا أميمة؟

البدوية: لم يزل بي ما تركنتي عليه.

الخليفة: ولكنك قد وعدت أن تجيبيني إلى طلبتي.

البدوية: لقد أمرت يا مولاي، وما علي إلا الطاعة، أما الرضا فليس في المقدور.

الخليفة: لماذا بطل الغناء يا ريطة؟!

ريطة: إلى الرقص يا فتيات.

(تعود المغنيات إلى الغناء، والراقصات إلى الرقص، والخليفة جالس يحادث أميمة، وكأنه قد زاد به اللجاج، فنهض وأخذ يهدر، فلا ينقطع الغناء ولا الرقص، حتى يخاطب الخليفة المغنيات في ساعة غضبه.)

الخليفة: أبطلن هذا، وانصرفن انصرفن، لا أريد رقصًا ولا غناء (تتصرف المغنيات، والراقصات جميعهن، ولا يبقى مع الخليفة والبدوية إلا ريطة) أيتها الفاجرة! لم يبق في قوس الصبر منزع ... ريطة!

ريطة: مولاي!

الخليفة: خذها إلى مخدعها، عجلي (يسير في المكان ذهابًا وإيابًا).

ريطة: انهضي يا أميمة ما لك حمقاء؟! أما ترين السيف معلقًا في الهواء؟! أنت الآن على أبواب السعد يا سيدتي، فلماذا توصدينها بيديك؟! انهضي، أفرحي، واطمئني، وثقي بالله وبي.

البدوية (تنهض وهي في حالة ذهول): هلم هلم، إلى مخدعي! إلى مخدعي! لقد فرج الله عني، تفتحت لي أبواب الرجاء، وأرى الملائكة تدعوني إلى السماء، هذا خيال ابن مياح يرقبني (تتنظر إلى ابن مياح، وقد بدا تحت العقد الأيسر)، وهأنذا في السبيل إليه (تمد ذراعها، وتسير كأنها مجنونة صوب العقد الأيسر) حسين! حسين!

مياح (يظهر لها): أجل، أجل، في السبيل إلي (يتقدم منها ويأخذها).

البدوية: آه! (تسقط مغشيًا عليها، فيجلسها على المقعد ويتركها، ويذهب إلى الخليفة مسرعًا).

الخليفة: ما هذا؟! من هذا يا ريطة!؟

مياح: انظر وتذكر! انظر حسين بن مياح (يرفع اللثام عن وجهه).

الخليفة: النجدة! النجدة!

مياح: لن ينقذك اليوم منقذ (يهجم عليه ويقبض على رقبته ويجالده حتى يسقط الخليفة).

الخليفة: آه، آه، النجدة (يخرج أسامة من غرفته، ويأخذ يتلفت، وإذ يرى الخليفة ساقطًا وفوقه رجلًا مجهولًا، يهجم عليه بالسيف).

أسامة: من ذا يغلبني على فريستي ... إليك (يدفع ابن مياح بيديه).

مياح (يقبض على رقبة الخليفة، وهو ملق، ينظر إلى القادم، وإذ يرى عمه يصيح): عماه! عماه!

أسامة: حسين! أنت! انتقم يا بني!

الخليفة: الرحمة! الرحمة!

مياح: هذا جزاء الظالمين.

أسامة (يقتلانه معًا): ثاري، ثاري (ثم يعانق ابن مياح، ويتقدم ابن مياح إلى البدوية وأسامة ينظر إليهما).

مياح: أميم! أميم! انهضي أن أن أضمك إلى صدري.

(ينهضان)

البدوية: حسين! حسين!

مياح: لبيك، هأنذا.

البدوية (تفتح عينها فترى شبحه فتبتعد عنه قليلاً، وتمسك بكتفه بذراعين ممدودتين، وإذ تتأكد أنه هو تلقى بنفسها عليه): حسين! حسين! (يكون أسامة في أثناء ذلك واقفاً يتردد، يريد القرب من ابنته، ثم لما يراها بين ذراعي زوجها يحجم، ولكنها في أثناء العناق ترى أباه فتبتعد عن حسين، وتذهب إليه) أبي! أبي!

أسامة (بصوت مختنق بالعبرات): ابنتي! (يتقدم منها ويحتضنها) أميم! أميم! لقد ظفرت بمناي وثأرت لنفسي.

(هنا يدخل أبو علي وبعض الجند، وتدخل ريطة من حيث خرجت.)

ريطة (من جانب): مرحى! مرحى!

أبو علي (من جانب): مرحى! مرحى!

البدوية: إليك عني يا ملابس الخنا، إليك، هأنذا كما أتيت (تخلع لباس العرس، وتظهر بملابسها العربية التي رأيناها أول فصل، فإذا رآها أبوها وابن مياح ناديا).

أسامة: إلى الصحراء! إلى الصحراء!

مياح: إلى الصحراء! إلى الصحراء!

الجميع: إلى الصحراء! إلى الصحراء!

(يأخذ أسامة بيد البدوية اليسرى، ويأخذ ابن مياح بيدها اليمنى، ويستعرضان المرشح، والسيوف في أيديهما، ثم يتقهقرون ويخرجون.)

يسدل الستار

---

<sup>1</sup> تولى تلحين هذه الأغاني والتي سبقتها، الأستاذ الموسيقار الكبير الشيخ سيد درويش.

# الفهرس

الإهداء

أشخاص الرواية

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث